الفصل الأول

موانع سوسيو ـ نفسية في حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني: نظرة على المجتمع اليهودي ـ الإسرائيلي

عرن هالفرين ونيطع أورن ودانيال بر. طال

يشير التاريخ الطويل والوحشي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني وعدم القدرة على حل هذا الصراع بالطرق السلمية، على الرغم من المحاولات الثنائية الكثيرة والتدخلات التي لا تتوقف من جانب عناصر أخرى، إلى أن هذا الصراع هو صراع صعب وعميق جدًا. ودون تجاهل الخلافات الجوهرية بين الأطراف، يبدو أن انعدام الحل بالطرق السلمية يمكن أن يرجع بدرجة كبيرة إلى موانع سوسيو نفسية قوية توقف أي تقدم نحو تسوية الصراع وتجهضه. هذه الموانع هي نفس القوى السوسيو نفسية التي تضاف إلى نقاط الخلاف نفسها، وتحول دون حلها وتضيف الموانع في بداية المفاوضات، وإدارتها والتوصل إلى اتفاق، وبعد ذلك في عملية المصالحة للمزيد انظر (Bar-Tal & Halperin) 2009 a.

يهدف هذا الفصل إلى توضيح الموانع السوسيو نفسية والمهيمنة في المجتمع اليهودي الإسرائيلي التي تضيف الآن عائقًا أمام تحقيق حل الصراع بالطرق السلمية. وما من شك في أن قوى سوسيو نفسية مشابهة تعمل في الجانب الفلسطيني، لكننا نترك تحليلها للباحثين المتخصصين في دراسة المجتمع الفلسطيني.

استمر الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لأكثر من مائة عام ويعد أحد أبرز الصراعات الرئيسية في العالم. مر الصراع طوال هذه السنوات بمراحل كثيرة

وتطورات كثيرة ولم يحل حتى الآن. وأيضًا أثناء كتابة هذه السطور «توضع» على الطاولة عدة مشروعات سلام رسمية، من بينها «خارطة الطريق»، ومبادرة الجامعة العربية للسلام العربي الإسرائيلي ومبادرات غير رسمية مثل اتفاقات جنيف واتفاق أيالون ـ نسيبه.

لكن على الرغم من حقيقة أن اتفاق أوسلو عام 1993 ـ توصل إلى اعتراف متبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير ووضعت الأسس لآلاف الساعات من المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية، إلا أنه لم يتم التوصل بعد إلى الاتفاق المأمول الذي يؤدي إلى إنهاء الصراع بالطرق السلمية. يعرض الجزء الأول من هذا الفصل الإطار المفاهيمي العام وبعده يتم التوسع في عرض طبيعة الموانع السوسيو نفسية التي تعد وبالًا في طريق تحقيق الاتفاق.

الإطار المفاهيمي للموانع السوسيو نفسية

فرضيتنا الرئيسية هي أن أحد أسباب ذلك الرئيسية يرجع إلى أن الخلافات الجوهرية في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لم تحل بعد ولن تحل بسهولة في المستقبل، فهي موانع سوسيو نفسية تحول دون تسوية الخلاف بالطرق السلمية. تعكس هذه الموانع عملًا مشتركًا للعمليات المعرفية والعاطفية والتحفيزية، التي تؤدي مع الكوامن النفسية إلى عمليات مضللة، ومتحيزة وانتقائية في إعداد المادة المتعلقة بالصراع. تحول هذه الاتجاهات دون إمكانية دخول معلومة جديدة يمكن أن تساهم وتساعد في دفع حلول الصراع بالطرق السلمية (انظر وصف تفصيلي لهذه النظرية عند Bar-Tal & Halperin 2009a).

من أجل تطوير هذه الموانع نقترح التفسير الذي تحتفظ بموجبه جزئيات في المجتمعات المتداخلة في الصراع المنفلت، بكوامن سوسيو نفسية تتضمن اعتقادات صارمة،ومواقف ومشاعر مشتركة (Bar-Tal 2007a). تحتوي هذه الكوامن على

اعتقادات داعمة للصراع، ووجهات نظر عامة ومشاعر تجاه الطرف الثاني في الصراع ـ كوامن تستخدم كعائق رئيسي لحل الصراع. ويفسر فيما يلي كل عنصر بالتفصيل، وبهذه الطريقة نصف الإطار العام للموانع السوسيو نفسية لحل الصراع بالطرق السلمية.

الاعتقادات الداعمة للصراع وتعنتها

تغرس الاعتقادات الاجتماعية في قلب الموانع السوسيو نفسية الكامنة في أساس الخلافات[2]، المتعلقة مباشرة بالمواجهة ويطلق عليها اعتقادات أيديولوجية داعمة للصراع[3]. تتضمن هذه الاعتقادات في الأساس اعتقادات اجتماعية عن أخلاقيات الصراع[4] والذاكرة الجمعية[5]. وفي الغالب تقدم مضامين هذه الاعتقادات

(٢) تعرف الاعتقادات الاجتماعية بأنها إدراك (معرفي) تشترك في أغلب تفصيلات المجتمع، وتتعلق بالموضوعات التي تزعج بصورة خاصة أفراد المجتمع وتساعد في إحساسهم بالتفرد (Bar-Tal 2000).

(٣) نحن بذلك نعترف أن جزءًا على الأقل من هذه الاعتقادات الداعمة يمكن أن تظهر قبل اندلاع الصراع، لكن طبيعة الصراع غير المنضبط تجعل كثيرًا من هذه الاعتقادات الداعمة منظومة اعتقادات مشتركة بين الجميع ومنظمة في الذاكرة الجمعية وكأخلاق للصراع.

(٤) تعرف أخلاقيات الصراع بأنها مكون للاعتقادات الاجتماعية الرئيسية التي تقود إلى اتجاه معين مهيمن للمجتمع الذي يعيش صراعًا طويلًا منفلتًا (Bar-Tal 2000). اعتقد أنه في سياق الصراع المنفلت تنمو أخلاق ذات ثمانية موضوعات رئيسية (Bar-Tal 1998، 2007a) (تتضمن اعتقادات اجتماعية عن درجة العدل في أهداف الطرف الآخر، التي ترسم أهداف الصراع، وتعرض أهميتها الحاسمة وتوفر تفسيراتها وعقلانيتها. الاعتقادات الاجتماعية عن الأمن التي تؤكد أهمية الأمن الشخصي والبقاء القومي وترسم الظروف المناسبة لتحقيقه. الاعتقادات الاجتماعية عن النظرة الذاتية الجمعية الإيجابية التي تتعلق بالميول الإثنية لإرجاع خصائص وسلوكيات وقيم جمعية للمجتمع المتدخل في الصراع. اعتقادات اجتماعية عن التضحية، التي تتعلق بتقديم الذات كضحية، وبخاصة في سياق الصراع المنفلت. واعتقادات اجتماعية بشأن عدم شرعية الآخر، تتعلق بالاعتقادات التي تستبعد إنسانية الخصم، اعتقادات اجتماعية تتعلق بالبطولة تخلق ارتباطًا بالدولة والمجتمع من خلال الدعوة إلى الولاء والحب والقلق والتضحية. وكذلك أيضًا اعتقادات اجتماعية عن الوحدة تتطرق لأهمية تجاهل الصراعات والخلافات الداخلية خلال الصراع المنفلت من أجل توحيد القوى في مواجهة التهديد الخارجي، وأخيرًا: الاعتقادات الاجتماعية عن السلام، والتي تعتبر السلام رغبة نهائية للمجتمع.

(٥) تعرف الذاكرة الجمعية للصراع بأنها تمثيل لأحداث الصراع التي تذكر لأفراد المجتمع باعتبارها تاريخ الصراع (Kansteiner 2002).

رؤية تحيزية وأحادية الجانب عن طبيعة العلاقات بين أطراف الصراع. وبمزيد من التفاصيل، فهي تبرر أهداف الصراع، وتعرض الخصم بطرق سلبية جدًا بل وحتى بمفاهيم تجعل منه غير شرعي، إضافة إلى أنها تلصق بالجماعات الداخلية سمات إيجابية جدًا، وتعرض أعضاءها على أنهم وحدهم ضحايا الصراع.

لكن، إضافة إلى منظومة الاعتقادات الأيديولوجية، التي تعد محددة نسبيًا، نزعم أنه يمكن أن يضاف إلى هذا المشهد أيضًا اعتقادات داعمة نتاج الظروف تنمو في السياق وفي ظل ظروف معينة وتختفي بعد ذلك. على سبيل المثال، يعتبر زعيم الجماعة المعادية ضعيفًا ولذلك يعتبر غير قادر على الدخول في مفاوضات السلام التي سوف توقع عليها الأطراف. وهكذا تقرر المجموعة عدم الدخول في مفاوضات معه والاستمرار في الصراع. كل الاعتقادات الدائمة الداعمة للصراع - أيديولويجية كانت أو نتاج الظروف - توجد عدم ثقة، وعداء وإحساس بالتهديد. وتعد أيضًا عائقًا واضحًا أمام عملية السلام حيث إنها تقدم قاعدة معرفية لإطالة الصراع.

تعد مضامين الاعتقادات الداعمة جزءًا صغيرًا فقط من المشكلة. نظريًا، يمكن تغيير الاعتقادات بسهولة، لكن فرضيتنا هي أن هذا المشهد صعب ومستعصٍ على التغيير،خاصة بسبب العوامل الدافعية والهيكلية التي يتسم بها. ونعني بذلك أن الاعتقادات الاجتماعية تواجه محاولات لتغييرها، سواء لأنها منظمة بصورة متماسكة، أو لأنها غير مركبة (بسيطة) ولأنها تختلف بصورة واضحة عن الاعتقادات البديلة التي تدعم تحقيق السلام، Tetlock 1989; Rokeach 1960. القوة المحفزة التي تساهم في التعنت أو التجميد هي الحاجة الدقيقة للانغلاق (انظر: Kruglanski 1989- 2004) التي تدفع أفراد المجتمع إلى اعتبار الاعتقادات الاجتماعية الداعمة للصراع حقيقة مطلقة لا يمكن أن يتحقق شيء بدونها.

ترجع صلابة الاعتقادات إلى عدة مصادر رئيسية: يتعلق الأول بوظائف المشهد السوسيو نفسي الموصوف، الذي يوفر احتياجات هامة على مستوى الفرد وعلى

المستوى الجمعي في المجتمعات التي تعد طرفًا في صراعات عنيفة (على سبيل المثال: التصور الذاتي الجمعي الإيجابي، الثقة أو القدرة على السيطرة). هناك مصدر آخر للعناد والإصرار وهو البنية المتوالية للاعتقادات الاجتماعية وكونها مرتبطة ببعضها البعض. هذه الحقيقة تجعل من بنيتها بنية مشابهة لبنية أيديولوجية الصراع (Tal Raviv Raviv & Dgani-Hirsch 2009; Tetlock 1989 Bar) ويتعلق المصدر الثالث باعتبار هذه الاعتقادات رئيسية، لأنها تتسم بالمستوى العالي من الأمن وتشغل أفراد المجتمع كثيرًا (Eagly & Chaiken 1993). يضاف إلى ذلك، أن تعنت العنصر السوسيو نفسي نابع من الربط الضاغط والمهدد للصراع الذي يعيش فيه أفراد المجتمع. ويؤدي هذا الربط الضاغط والمهدد إلى الانغلاق وتقييد خطى إعداد المعلومة (Driskell & Salas 1996; Staal 2004). وفي النهاية، يؤدي التعنت إلى إجراءات إعداد معلومات انتقائية، وتحيزية وظالمة، وبهذه الطريقة تضع الأساس لعمليات الموانع السوسيو نفسية التي تلقي بظلالها على تقدم عملية السلام (ترد هذه النظرية بالتفصيل لدى Bar-Tal & Halperin 2009a).

نظريات عامة

إضافة إلى ذلك، نحن نعتقد أن الاعتقادات التي توصف فيما يلي بأنها متغيرات في الصراع، تتأثر في الغالب باعتقادات لا تتعلق بها بصورة مباشرة، وإنما تعكس وجهات نظر أكثر تعميمًا. وجهات النظر العامة هي مجموعة من الاعتقادات والميول التي لا ترتبط بالصراع الدقيق، لكنها تقدم وجهات نظر تساهم في إطالة الصراع بسبب هذه الرؤى، وبسبب المعايير والقيم التي تسبق الصراع. وقائمة هذه الرؤى طويلة جدًا، من بين أبرزها يمكن أن نشير إلى الأيديولوجية السياسية. (Adorno Frenkel-Brunswick Levinson & Sanford 1950; Altemeyer 1981; Jost 2006; Sidanius & Pratto) والقيم الدقيقة (Schwartz 1992) والاعتقادات الدينية (Kimball

2002) ونظريات تتعلق بطبيعة الإنسان وقدرته على التغير (Dweck 1999).كل هذه الرؤى لها تأثير على الطريقة التي يرى بها أفراد المجتمع الخلافات الرئيسية والصراع نفسه على سبيل المثال انظر:

Beit-Hallahmi& Argyle,1997; Dweck,& Ehrlinger, 2006; Feldman& Stenner, 1997; Golec& Federico, 2004; Guimond, Dambrun, Michinov,& Duarte, 2003; Jost, Glaser, Kruglanski,& Sulloway, 2003; Kossowska, Bukowski,& Van Hiel .2008; Levinson, 1957; Sibley& Duckitt, 2008.

المشاعر

أشار الباحثون في مجالات العلاقات الدولية والصراعات العرقية منذ فترة بعيدة إلى الدور الرئيسي الذي تلعبه المشاعر في تصعيد الخلاف، وفي تهدئته وفي عملية حله (Horowitz, 1985; Lindner, 2006; Petersen, 2002). ونركز في هذا التحليل الدقيق، على دور المشاعر البيجمعية السلبية كموانع أمام حل الصراعات انظر (Halperin 2008b) أظهرت البحوث الكثيرة التي تمت في العقدين الأخيرين أن المشاعر السلبية تلعب دورًا رئيسيًا في الحيلولة دون إحراز تقدم نحو تسوية الخلافات بالطرق السلمية. انظر على سبيل المثال:

Baumeister & Butz, 2005; Corradi, Fagen & Garreton, 1992; Halperin 2008a; Halperin, Sharvit & Gross, 2009; Scheff & Retzinger, 1991; Staub, 2005; White, 1984.

إضافة إلى ذلك وجد أن هذه المشاعر تشجع انغلاق المنظومة النفسية وتشكل تشدد الاعتقادات الداعمة.

ويمكن أن نفرق بين صورتين مختلفتين تظهر فيهما هذه المشاعر البيجمعية: أوضاع مشاعر نفسية قصيرة المدى تظهر كرد فعل لحظي على أحداث معينة، وفي

المقابل مشاعر عاطفية طويلة المدى توجه الجماعة أو الزعيم وتعرف في كثير من الأحيان بأنها «مزمنة» (Arnold, 1960; Lazarus 1994).

نركز في الفصل الحالي على حالتين بارزتين من المشاعر البيجمعية تلعبان دورًا هامًا كموانع أمام خطوات السلام: الخوف والكراهية. فمن وجهة نظرنا تلعب هذه المشاعر في السنوات الأخيرة دورًا رئيسيًا ومؤثرًا جدًا في مشهد الصراع الإسرائيلي الفلسطيني (انظر أيضًا Bar-Tal, 2001; Halperin, 2008a) ويبدو أن الخوف أو الكراهية، هما اللذان يحددان، في حالات كثيرة، النظرة إلى الخصم ويغذيان استمرارية الصراع.

ونشير في النهاية إلى الإطار المفاهيمي الشامل، الذي يضم أيضًا التحيزات المعرفية والتحفيزية ـ العالمية التي يتسم بها البشر أينما كانوا، في أي سياق، أو وضع أو وقت. تؤثر هذه التحيزات على خطوات إعداد المعلومة والآراء الجديدة. ويمكن الإشارة إلى عشرات الأنواع من التحيزات، لكنها تلعب دورًا رئيسيًا في خطوات الصراع المرتبطة بالاستدلالات، والخطوات المعرفية التلقائية والتحفيزية المرتبطة بالحفاظ على النظرة الذاتية وتعزيز الأنا. انظر على سبيل المثال:

2007; Jarymowicz, 2008; Kunda, 1990; Nisbett & Ross, 1980:, Bargh.

ويمكن القول أن سياق الصراع بين الجماعات يكون مصحوبًا بالاعتقادات الداعمة ويقدم أساسًا مناسبًا لتطوير ورفع هذه التحيزات (Ross& Ward, 1995). لكن لن نتطرق إليها بتوسع في هذا الفصل، لأنها ترد بإسهاب في الأدب النفسي.

وفي الختام نقترح أن توفر منظومتا الاعتقادات المتعلقتان بالمضمون (أي، الاعتقادات الداعمة للصراع ووجهات النظر العامة) الموصوفة أعلاه، إضافة إلى المشاعر البيجمعية السلبية، بحثًا يمكن من خلاله أن يدرك الأفراد واقع الصراع ويفسرونه. يعبر عن هذ البحث بعملية انتقائية، وتحيزية وظالمة لإعداد

المعلومة. نتيجة هذا العملية هي الحفاظ على الخلافات الأساسية وتعزيزها وكذلك الاعتقادات الداعمة للصراع. هذه العملية تعوق إدراك فكر السلام لدى الخصم، والمقترحات الجديدة التي تطرحها أطراف ثالثة أو الطرف الثاني أو معلومة جديدة عن رغبة الطرف الثاني في التصالح. في ظل هذه الظروف، يتحول تجاوز الخلافات الرئيسية إلى تحد صعب جدًا انظر النموذج المفاهيمي في الشكل رقم 1 الذي يعرضه (Bar-Tal& Halperin, 2009).

شكل 1: موانع سوسيو-نفسية أمام حل الصراعات بالسبل السلمية

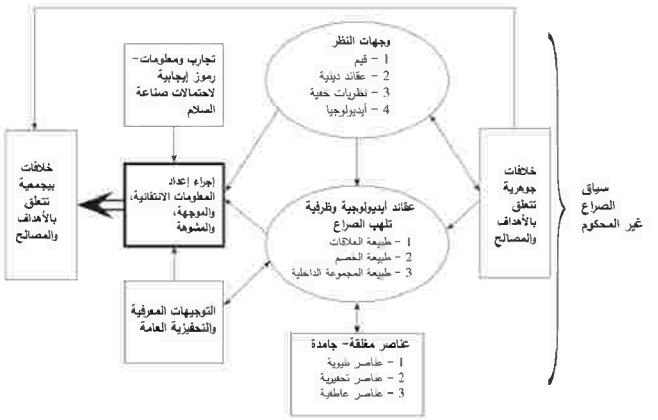

بعد أن وصفنا الإطار المفاهيمي العام، سنركز على الوضع الحالي في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. سنعرض أولًا نقاط الخلاف الرئيسية التي تتركز فيها إجراءات المفاوضات. وبعد ذلك سنعرض وضع إجراءات المفاوضات الأخيرة وموقف الجماهير منها. ثم نتحدث تفصيلًا عن الموانع السوسيو نفسية الرئيسية في المجتمع اليهودي الإسرائيلي التي تعوق إحراز تقدم نحو الحل الممكن للصراع بالطرق السلمية. ونعرض بتفصيل أوسع للاعتقادات الأيديولوجية والاعتقادات الظرفية الداعمة للصراع والتي تغذي استمراريته وتحول دون حله بالطرق السلمية. وفي النهاية نشير إلى العوامل الشعورية الرئيسية التي تعتبر موانع. ونظرًا لمحدودية المساحة سنقفز على مناقشة

الموانع السوسيو نفسية الأخرى مثل وجهات النظر العامة والموانع المعرفية والتحفيزية العامة.

خلافات أساسية في الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني والرأي العام تجاهها

تدور الخلافات بين اليهود في إسرائيل والفلسطينيين حول خمسة موضوعات رئيسية على الأقل. وعلى افتراض أن تقسيم الأرض بين نهر الأردن والبحر المتوسط لدى إقامة دولة فلسطينية هو مبدأ عام ومقبول لدى المعتدلين في الطرفين ـ فإن المشكلة الأولى في الخلاف تتعلق بحجم وحدود الأرض التي ستضمها الدولة الفلسطينية. وتتعلق المشكلة الثانية بطبيعة الدولة الفلسطينية المزمع قيامها. وتتركز المشكلة الثالثة في القدس وهي تتعلق بالطريقة التي يقسمها بها الكيانان ويسيطران عليها. وتتعلق المشكلة الرابعة بالمستوطنات اليهودية التي بنيت على الأراضي التي احتلت عام 1967. وتتعلق المشكلة الخامسة بحل مشكلة اللاجئين عام 1948 وربما أيضًا عام 1967. ومن الواضح أن الخلافات تتعلق أيضًا بمشاكل أخرى مثل توزيع مصادر المياه والمصادر الطبيعية الأخرى، وطبيعة العلاقات الاقتصادية وغيرها، لكن في هذه النقطة نحن نعتبرها مشاكل فرعية ولذلك لن نتناولها.

وفرت المفاوضات الجادة التي جرت في العقود الأخيرة، وثائق عن الحلول الممكنة للمشاكل التي أشرنا إليها أعلاه. وهكذا على سبيل المثال، طرحت أفكار هامة في مفاوضات طابا بين ممثلي الحكومة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية في يناير 2001 وتفاهمات كلينتون في ديسمبر 2000 والوثيقة غير الرسمية بين «أبو مازن» وبيلين والتي نشرت في عام 1995 أو في اتفاق جنيف غير الرسمي الذي كان جزءًا من خطوات المفاوضات التي تمت وعرضت عام 2003. أحدث مقترحات الحلول ـ وفقًا لتاريخ كتابة هذه السطور ـ نشرها بصورة علنية رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت،

بعد المفاوضات التي استمرت حوالي عام بينه وبين رئيس السلطة الفلسطينية، أبو مازن، عام 2007 ـ 2008، يمكن القول أن مقترحات أولمرت كانت طموحة مقارنة بأي مقترح لزعيم إسرائيلي في الماضي[6].

وفقًا لما جاء في الصحف، ما نشر عن المفاوضات في خريف 2008 كان في المرحلة التي وافق فيها رئيس وزراء إسرائيل، إيهود أولمرت، على إقامة دولة فلسطينية والانسحاب من 93.7% 93.5% من المناطق المحتلة. وكتعويض كان من المقرر أن يقبل الفلسطينيون 5.8% من المنطقة في أماكن أخرى وكذلك المرور الآمن من الضفة الغربية إلى قطاع غزة. إضافة إلى ذلك وافق أولمرت على ألا يكون الحوض التاريخي (المقدس) في مدينة القدس القديمة تحت سيادة شكلية لأي دولة، وإنما يدار كله من خلال كونسرتيوم من السعودية والأردن وإسرائيل وفلسطين وأمريكا؛ وتقسم القدس وتعد عاصمة للدولتين؛ تقبل إسرائيل فقط جزءًا صغيرًا من اللاجئين كتنازل إنساني، بينما يسمح لأغلبهم بالانتقال إلى الدولة الفلسطينية التي ستقام (برنيع وشيفر 2008 ;2009; Peraino, 2009).

تجدر الإشارة إلى أنه بعد الانتخابات التي جرت في فبراير 2009 نجحت حكومة يمينية جديدة متشددة في إسرائيل برئاسة بنيامين نتنياهو، الذي قَبِل أيضًا في نهاية الأمر فكرة إقامة دولة فلسطينية، لكن بقائمة طويلة من الشروط المقيدة، من بينها النزع الكامل لسلاح هذه الدولة، واعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة للشعب اليهودي، وإلغاء حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى الدولة اليهودية واستبعاد أي مفاوضات عن تقسيم القدس. ومن المقرر أن تبدأ إجراءات المفاوضات بين الجانبين في المستقبل القريب.

(٦) توقفت إجراءات المفاوضات في خريف عام 2008 لأن رئيس وزراء إسرائيل اضطر إلى الاستقالة من منصبه بعد اتهامات بالفساد.

في ضوء مقترح أولمرت وموقف نتنياهو، من المهم أن ندرس مواقف الجمهور اليهودي في إسرائيل من مشاكل الخلاف، اعتمادًا على استطلاعات الرأي الشاملة والحديثة جدًا.

وقبل عرض رأي الرأي العام اليهودي الإسرائيلي في هذه المشاكل، نشير إلى أنه بمنظور عام، وعلى مر السنين، حدثت لدى الرأي العام في إسرائيل تغييرات ملموسة بشأن أغلب مشاكل الخلاف. على سبيل المثال، زاد استعداد الجمهور الإسرائيلي اليهودي لقبول إقامة دولة فلسطينية من 20% تقريبًا عام 1987 إلى 61% في عام 2006. وعلى نفس النمط، نجد أن استعداد اليهود في إسرائيل للتنازل عن السيادة الإسرائيلية على الأحياء العربية في شرق القدس قد زاد من 10% عام 1994 إلى حوالي 50% عام 2006 (بن مائير وشاكيد 2007). وبالتالي يجب أن نرى المواقف الحالية للجمهور اليهودي في إسرائيل في السياق الأوسع للتغييرات في هذه المواقف على مر السنين.

بالنسبة لمواقف الجمهور الحالية بشأن إقامة دولة فلسطينية، في عام 2009 أيد 53% من اليهود في إسرائيل إقامة دولة فلسطينية كجزء من حل ممكن للصراع. في نفس الوقت أيد 64% من اليهود «دولتين لشعبين» كنظرية عامة (بن مائير، 2009 كما يذكر بن مائير 2009): يرجع الفرق في مستوى تأييد الاحتمالين بالتأكيد إلى حقيقة أن مفهوم «دولة فلسطينية» ما زال ينظر إليه كثير من اليهود بمنظور سلبي ويبدو أن السبب في هذه الفجوة يرجع إلى الحواجز السوسيو نفسية التي سنتحدث عنها تفصيلًا في معرض هذا الفصل، مثل الاعتقادات الأيديولوجية (اعتقادات تتعلق بالأهداف الفلسطينية والتصور السلبي للعرب) والمشاعر الجمعية (الكراهية والخوف).

بالنسبة لمشاكل الحدود الدائمة ومستقبل المستوطنات، فإن أغلب اليهود في إسرائيل يعارضون الانسحاب من معظم المناطق. على سبيل المثال، يشير استطلاع معهد بحوث الأمن القومي (INSS) إلى أن حوالي70% ـ يعارضون نقل مناطق مثل جوش

عتسيون، وغور الأردن وغرب السامرة إلى الفلسطينيين. تشير الاستطلاعات أيضًا إلى أنه بين السنوات 2000 ـ 2009 تراجع تأييد الانسحاب من هذه المناطق. وبصورة أكثر تركيزًا، من عام 2000 وحتى عام 2007 تراجع تأييد الانسحاب من جوش عتسيون من 33% إلى حوالي 15% ـ وانخفض تأييد الانسحاب من البقاع الأردنية من 32% إلى حوالي 14% وانخفض تأييد الانسحاب من غرب السامرة من 15% إلى 29% (بن مائير وشاكيد، 2007 بن مائير 2009)، ويستثنى من ذلك الأحياء العربية في القدس الشرقية. وبالنسبة لهذه المنطقة، تضاعف بل وزاد تأييد التنازلات الإقليمية بين السنوات 2000 .2001 من 24% إلى 51% ـ واحتفظ بالثبات بصورة أو بأخرى حتى عام 2006 ومنذ ذلك الحين انخفض إلى حوالي 41% في عام 2009.

مستوى تأييد إخلاء كل المستوطنات في الضفة الغربية، الذي سيؤدي بالفعل للعودة إلى حدود 67 هو مستوى منخفض جدًا. حيث يتضح من استطلاع مركز تامي شتاينمتس لبحوث السلام (مقياس السلام)[7] الذي تم في أغسطس 2004، أن حوالي 17% كانوا مستعدين لإخلاء كل المستوطنات و15% لإخلاء أغلب المستوطنات ووافق 37% على إخلاء المستوطنات الموجودة بين المستوطنات الفلسطينية أو بجوارها بينما عارض 25% إخلاء أي مستوطنة.

في استطلاع معهد بحوث الأمن القومي (INSS) نجد أن تأييد إخلاء كل المستوطنات كان منخفضًا بصورة متوالية على مر السنين (انظر الشكل 2) في عام 2009 أيد 15% فقط إخلاء كل المستوطنات (انخفاض أكثر من 20% عام 2005) ولكن كما يظهر من الشكل 2، فإن جزء ملموسًا من عينة الدراسة اليهود أيدوا إخلاء جزء صغير ومنعزل من المستوطنات. في عام 2009 كان 43% مستعدين

(٧) استطلاعات مقياس السلام هي استطلاعات يقوم بها مركز تامي شتاينمتس لبحوث السلام في جامعة تل أبيب بدءًا من عام 1994 لمزيد من المعلومات عن مشروع مقياس السلام انظر (www.tau.ac.il. Peace) .

لإخلاء المستوطنات الصغيرة والمعزولة في الضفة الغربية. بشأن التسوية الدائمة (انخفاض من 57% ـ كانوا مستعدين لذلك عام 2004 عارض 42% في عام 2009 إخلاء المستوطنات تحت أي ظروف، وهذا ارتفاع مقابل 27% عارضوا ذلك في عام 2004) (بن مائير 2009).

بالنسبة لمستقبل القدس، التي تعد مشكلة رئيسية أخرى في الخلاف بين الإسرائيليين والفلسطينيين، 40% ـ تقريبًا يؤيدون فكرة التنازل عن الأرض في شرق القدس، وتشير استطلاعات الرأي العام إلى أن أغلب اليهود في إسرائيل يعارضون أي أفكار أخرى تتعلق بمستقبل المدينة. على سبيل المثال، يشير مقياس السلام إلى أن 60% من العينة تعارض إدارة مشتركة فلسطينية إسرائيلية للحرم القدسي والأماكن المقدسة في القدس و83% ـ يعارضون تسليم السيادة في المدينة القديمة للفلسطينيين (مقياس السلام، أبريل 2008). في الاستطلاع الذي أجراه معهد بحوث الأمن القومي نجد أن حوالي 82% في عام 2009 ـ يعارضون فكرة أن تنقل منطقة الحرم إلى الفلسطينيين وتحتفظ إسرائيل بالحائط الغربي (بن مائير. 2009).

شكل2: نسبة اليهود الإسرائيليين المستعدين لإخلاء المستوطنات في إطار تسوية دائمة

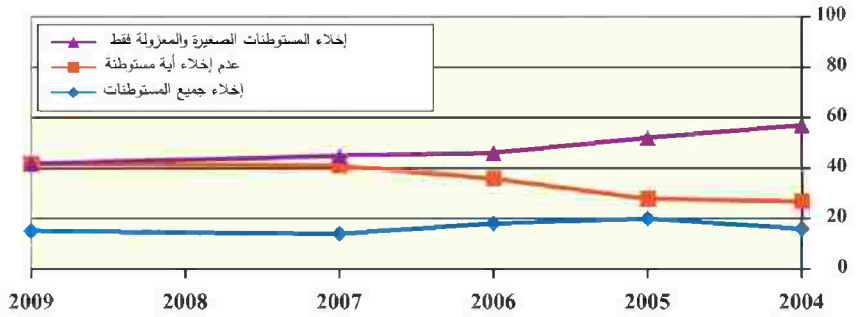

وتشير استطلاعات الرأي العام إلى أن أغلب اليهود في إسرائيل يعارضون تطلع الفلسطينيين إلى حق العودة. على سبيل المثال، وفقًا للاستطلاع الذي تم في سبتمبر

2007 عارضت غالبية كبيرة (87%) من الجمهور اليهودي مجرد عودة لاجئ واحد إلى الأراضي الإسرائيلية، بينما أبدى 6% استعدادهم لإعادة حتى 100 ألف لاجئ في مقابل تسوية دائمة و3% مستعدون لإعادة كل اللاجئين الذين يتم اتخاذ قرار بشأنهم (مقياس السلام، سبتمبر 2007). وبصورة مشابهة، يشير استطلاع معهد بحوث الأمن القومي عام 2009 إلى أن حوالي 89% يعارضون عودة اللاجئين إلى إسرائيل، ولو بعدد ضئيل (بن مائير 2009).

وفي النهاية، على الرغم من أنه يمكن أن نلحظ على مر السنين استعدادًا بالغًا بين الجمهور الإسرائيلي- اليهودي للتسوية مع الفلسطينيين، فإن استطلاعات الرأي الحديثة تشير إلى أن أغلب الجمهور اليهودي في إسرائيل يعارض حتى الآن النقاط الأساسية في المقترحات الرئيسية لإنهاء الخلاف والتي ذكرت أعلاه، بما فيها تلك التي عرضها إسرائيليون كبار أمثال أولمرت. بينما تؤيد أغلب الجماهير اليهودية حل الدولتين، فإن هناك كثيرين يعارضون العودة إلى حدود 1967 وإخلاء أغلب المستوطنات، والتسوية في جبل المكبر والعودة ولو بعدد قليل من اللاجئين الفلسطينيين إلى الأراضي الإسرائيلية. ونحن نفترض أن الشعار العام «حل الدولتين» أصبح شائعًا ومقبولاً من الناحية السياسية، بالضبط كما كان على مدى سنوات طويلة شعار «إسرائيل مهتمة بحل الصراع بالطرق السلمية». هذان الشعاران يعدان شعارين عامين ويتطلبان مستوًى عاليًا من التفصيل من أجل تحقيق خطة حاسمة لحل الصراع.

موانع سوسيو- نفسية لحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني

سنعرض في هذا الجزء من الفصل الموانع السوسيو نفسية التي تلعب دورًا رئيسيًا في حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني بالطرق السلمية، ونركز على مواقف الجمهور الإسرائيلي اليهودي، ومواقف الأحزاب السياسية الرائدة وآراء الزعماء السياسيين. وسيبدأ هذا التحليل بعرض الاعتقادات الأيديولوجية الداعمة للصراع. سنركز في

هذه المناقشة بصفة خاصة على اعتقادات أخلاقيات الصراع التي احتلت مكانة رئيسية في دفع الخلافات والحيلولة دون صنع السلام. هذه الاعتقادات تتضمن موضوعات تتعلق بأهداف الصراع وتبريره، وعدم شرعية العرب عامة والفلسطينيين خاصة، والإحساس بالتضحية الجمعية، والصورة الجمعية الذاتية الإيجابية التي تصف التطلع إلى السلام (انظر بحث جوفر2007)، وموضوعات أخرى في أخلاقيات الصراع تتطرق أساسًا لمحاولات تحفيز أعضاء الجماعة إلى التجاوب مع عناصر الصراع، بما فيها موضوعات الأمن، والبطولة، والتصور الذاتي والاتحاد.

تجدر الإشارة إلى أن الاعتقادات الاجتماعية الأيديولوجية الداعمة للصراع تقدم في الأساس قاعدة معرفية لرفض أي تسوية في موضوعات جوهر الصراع. مثل هذه الاعتقادات ترفض أي تسوية لتقسيم الأرض بين نهر الأردن والبحر المتوسط بين الأمتين. وتتبع هذه الفكرة الأساسية من مصدرين على الأقل. الأول ديني ـ قومي وهو يعتمد على المعتقد الديني إلى جانب مبررات قومية تاريخية. ويعتمد المصدر الثاني على اعتبارات أمنية وجودية راسخة في الاحتياجات الأمنية (انظر2009 Magal, Bar-Tal, Oren & Halperin). هذان المصدران يقدمان قاعدة للاعتقادات الاجتماعية التي تشكل جزءًا من أخلاقيات الصراع. إضافة إلى ذلك سيعرض في هذا الجزء عدة اعتقادات ظرفية ظهرت في الفترة المدروسة. وفي النهاية نعرض المشاعر التي تلعب دورًا رئيسيًا كموانع في سبيل صنع السلام. وينفذ هذا التحليل من خلال التركيز على السنوات 2000 ـ 2009 وهي الفترة التي تفاقم فيها الصراع وتعززت الاعتقادات والمشاعر الداعمة لاستمرار الصراع وتوسيعه.

اعتقادات أيديولوجية داعمة للصراع

في أعمالنا السابقة بحثنا الأخلاقيات الإسرائيلية والصورة التي تغيرت بها هذه الأخلاقيات منذ 1967 Oren, 2009; Bar-Tal& Oren, 2000; Oren Bar-Tal, 2006;

Oren 2005 ووجدنا بصورة عامة أنه في الفترة التي وصف فيها الصراع بأنه منفلت (حتى زيارة السادات للقدس 1977) برزت هيمنة كبيرة لأغلب الاعتقادات الاجتماعية الرئيسية التي أوجدت أخلاقيات الصراع الإسرائيلية؛ أي أن 75% على الأقل من المواطنين تمسكوا بهذه الاعتقادات، وخدمت بصورة متكررة القيادات السياسية بتبرير السياسات وتوضيحها، وكونت العناصر الرئيسية في الصراع في الكتب التعليمية وظهرت دائمًا في وسائل الإعلام وعبر عنها في نتاجات ثقافية مختلفة.

ومع ذلك، فقد وجدت بحوث كثيرة تغييرات جوهرية في أخلاقيات الصراع الإسرائيلية على مر السنين، وخاصة مع عملية التغيير في طبيعة الصراع بعد اتفاق السلام مع مصر وفي فترة اتفاقات أوسلو. تضمنت هذه التغييرات تراجعًا عامًا في مركزية الاعتقادات الاجتماعية في أخلاقيات هذا الصراع. أحداث عام 2000 مع اندلاع الانتفاضة الثانية والأحداث العنيفة التي ارتبطت بها، غيرت الاتجاه وأدت إلى تعزز جديد لبعض الاعتقادات الاجتماعية لأخلاقيات الصراع (انظر Bar-Tal & Sharvit 2008).

اعتقادات بشأن الأهداف الإسرائيلية والفلسطينية

كما ذكر، فإن الاعتقادات الاجتماعية التي رفضت حقوق الفلسطينيين في الأرض والتي رفضت الاعتراف بوجود منظمة التحرير ووجود كيان فلسطيني، لم تعد شائعة في المجتمع الإسرائيلي منذ الثمانينيات. على سبيل المثال، تظهر نتائج استطلاع جديد للسلام إلى أن غالبية تصل إلى 61% من الجمهور اليهودي في إسرائيل بررت المطلب الفلسطيني بدولة مستقلة خاصة بهم (مقياس السلام، نوفمبر 2008).

إضافة إلى ذلك فإن 62% من الجمهور الإسرائيلي اليهودي اعترفوا في يونيو 2009 بحق الشعب الفلسطيني في الوجود وعارض ذلك 32% والباقي لا يعرفون (مقياس السلام يونيو 2009). وكما ذكرنا منذ فترة، فإن كل رؤساء الوزراء في إسرائيل

في الفترة الأخيرة، ومنهم رئيس الوزراء الحالي، بنيامين نتنياهو، قبلوا فكرة الدولة الفلسطينية وتشير استطلاعات الرأي إلى أن غالبية الجماهير اليهودية الإسرائيلية تقبل حل الدولتين وبالتالي، فإن هذا التغيير يشير إلى رفع حاجز هام عن طريق حل الصراع مع الفلسطينيين.

ولكن، بنظرة عن قرب على الاعتقادات الإسرائيلية الحالية عن الأهداف الإسرائيلية والفلسطينية نكتشف أن التغييرات في الاعتقادات الإسرائيلية السابقة هي أقل وضوحًا مما كانت عليه لأول وهلة. هناك دلائل كثيرة على أن الموافقة على حل الدولتين لا يعرض بالفعل اعترافًا بالرواية الفلسطينية للصراع أو التنازل عن المطالبة اليهودية بخصوص أرض الضفة الغربية التي احتلت عام 67. إضافة إلى ذلك، هناك دلائل على أن مستوى معارضة الرواية الفلسطينية قد زاد في السنوات الأخيرة داخل المجتمع اليهودي الإسرائيلي. على سبيل المثال، في الاستطلاعات التي تمت في عام 2008 عرفت غالبية الجماهير اليهودية الضفة الغربية بأنها أرض محررة (55%) وليست أرض محتلة (32%) ويعد هذا تغييرًا قياسًا بعام 2004، ففي أغسطس 2004 اعتقد 51% أن الضفة الغربية وقطاع غزة أراضٍ محتلة بينما اعتقد 39% أو كانوا واثقين من أنها أراضٍ محتلة (مقياس السلام مارس[8] 2008). ووفقًا لذلك ففي استطلاع مشتق من مقياس السلام نجد أن أغلب الإسرائيليين اليهود يعرفون المستوطنات الموجودة بوضوح داخل المناطق على أنها مستوطنات لا توجد في المناطق المحتلة (مقياس السلام أغسطس 1994).

(٨) على الرغم من ذلك، ففي هذا البحث أيضًا، نسبة العينة التي اعتقدت أن إسرائيل ليست في حاجة لتغيير سياستها وقبول معاهدة جنيف الرابعة، وبهذا تعترف بالفعل بالأراضي المحتفظ بها، ترتفع جدًا نسبة العينة التي أجابت بأن هذا التغيير في السياسات والاعتراف سيكون مناسبًا (مقياس السلام، أغسطس 2004).

هناك أيضًا اكتشاف هام في هذا السياق يظهر أن 50% من اليهود في إسرائيل يشعرون على الأقل بمستوى معين من التهديد من إعادة المناطق مقابل السلام (بن مائير2009).

وهناك اتجاهات أخرى تظهر أيضًا في بلاغة الخطاب لدى شخصيات رئيسية في السياسة الإسرائيلية. على سبيل المثال، في الحديث الذي أدلى به رئيس وزراء إسرائيل السابق، إيهود أولمرت، خلال عام 2006 قال: «نحن نصر بحزم على الحق التاريخي للشعب الإسرائيلي في فلسطين كلها. فأي هضبة في السامرة، وأي وادٍ في يهودا، هو جزء من وطننا التاريخي. ونحن لا ننسى ذلك ولو للحظة واحدة».

كرر بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الحالي، فكرة المناطق «كأرض إسرائيلية» في الخطاب الذي ألقاه في جامعة بار إيلان في يونيو 2009: «علاقة الشعب اليهودي بفلسطين ظلت أكثر من 3500 سنة. الضفة الغربية، الأماكن التي سار فيها إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود وسليمان وإشعيا وإرميا ـ هذه الأرض ليست أرضًا غريبة علينا، إنها أرض آبائنا»[9].

وبالنسبة للفلسطينيين قال نتنياهو في نفس اللقاء: لكن يجب أن نذكر هنا أيضًا كل الحقيقة: «يعيش الآن في قلب الوطن اليهودي جمهور كبير من الفلسطينيين. نحن لا نريد أن نحكمهم».

ولا يذكر نتنياهو أي علاقة تاريخية فلسطينية بالأرض، أو حق الفلسطينيين فيها. فهو يتحدث فقط عن «مواطنين» يقيمون في قلب الوطن اليهودي.

ما من شك في أن الرأي السائد، بأن الضفة الغربية ليست منطقة احتلال، هو عائق رئيسي لحل الصراع. فنظرة الغالبية في إسرائيل وجزء كبير من القادة في الساحة السياسية، بأن الضفة الغربية تخص «الشعب» اليهودي فقط ـ وبالتالي فإنها

(٩) التأكيد في النص الأصلي.

منطقة محررة وليست منطقة محتلة ـ يقود إلى رفض فكرة التسوية بخصوص هذه الأرض، وإلى صعوبة تركها وإلى شعور «الشعب» اليهودي بأنه الجانب الوحيد الذي يساهم بشيء ما ملموس في حل الصراع (لمزيد من التوسع في هذه النقطة، انظر Magal, Bar-Tal, Oren& Halperin 2009).

تشير استطلاعات الرأي أيضًا إلى المعارضة الشديدة لأي محاولة للاعتراف بالرواية الفلسطينية أو دراستها. على سبيل المثال، في الاستطلاع الذي تم في عام 2009 عارضت غالبية الجماهير اليهودية (56%) قبول المسؤولية الإسرائيلية الجزئية عن المعاناة التي حاقت بالفلسطينيين في حرب 1948، بما في ذلك خلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. هذا أيضًا إذا تحمل الفلسطينيون بصورة رسمية جزء من مسؤولية أحداث 1948 (مقياس السلام يوينو 2009). إضافة إلى ذلك، كما يتضح من شكل 3 يعارض أغلب اليهود الإسرائيليين تبني المنهج الدراسي في المدارس، الذي يعترف بالدولة الفلسطينية ويتنازل عن التطلع إلى الحصول على أجزاء من الوطن موجودة في أراضي الدولة الفلسطينية. وينطبق هذا أيضًا على ما يتعلق باتفاق السلام مع الفلسطينيين وإقامة دولة فلسطينية تعترف بها إسرائيل.

وفي ضوء الرؤية السائدة بأن كل الأرض محل الخلاف هي في جوهرها منطقة إسرائيلية ـ وفي ضوء المعارضة القاطعة لأي ذكر للرواية الفلسطينية، فليس مفاجئًا أن أغلب الجماهير الإسرائيلية اليهودية تعارض انسحابًا ملموسًا من المناطق المحتلة، ومعارضة التسوية الملموسة في القدس (بخلاف الأحياء العربية) ومعارضة ـ عودة اللاجئين ولو جزء قليل من اللاجئين الفلسطينيين ـ إلى إسرائيل.

كل هذا على الرغم من الموافقة الإسرائيلية الكاملة على المبدأ المشوش لحل الدولتين. ويبدو أن أغلبية الجمهور اليهودي الإسرائيلي في إسرائيل ما زالت ترى أن الحلول المقترحة تعد خضوعًا من جانب واحد يمكن أن يؤدي فقط إلى

التنازل عن السيادة، دون الحصول على مقابل ملموس من الجانب الفلسطيني.

شكل 3: نسبة اليهود الإسرائيليين المعارضين لتبني مناهج تعليم في المدارس تعترف بدولة فلسطينية وتتخلى عن الطموح في استعادة أجزاء من الوطن موجودة داخل أراضي الدولة الفلسطينية

(http://truman.huji.ac.il/polls.asp : انظر ,JIPP data)

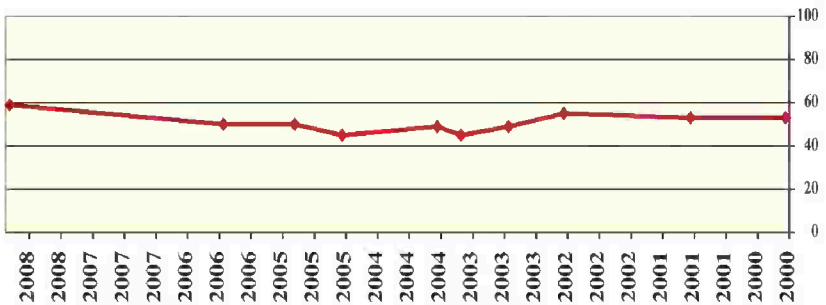

تصور العرب

بينما يبدو التغير في الاعتقاد بشأن أهداف الصراع مستحيلًا بدرجة معينة. يبدو أن التغييرات الإيجابية التي حدثت في فترة عملية السلام مع مصر فيما يتعلق بالنظرة إلى العرب هي تغييرات عكسية. ومنذ عام 2000 تشير استطلاعات الرأي والبرامج السياسية إلى اتجاه العودة إلى نظريات قديمة بشأن العرب والفلسطينيين.

أولًا: في السنوات 1977 ـ 2000 تغيرت نظرة اليهود الإسرائيليين إلى العرب من اعتبارهم مجموعة متجانسة موحدة في كراهيتها لإسرائيل، إلى نظرة مختلفة تمامًا، تفرق بين الدول العربية المختلفة (Bar Tal & Teichman, 2005) الدليل على هذا التغيير هو الصورة التي عرضت بها الأحزاب السياسية في إسرائيل في التسعينيات الدول العربية الصديقة لإسرائيل ـ مصر والأردن. اعتبارًا من عام 2000 يعود الاتجاه إلى التجانس إلى حد ما. وإن كان ما زال يوجد تفرقة بين الدول والجماعات المتطرفة في مقابل المعتدلة. ففي عام 2006 أظهر استطلاع أجراه

(The joint Israeli Palestinian Poll JIPP) أن 78% من الذين ردوا وافقوا على المجاهرة بأن «المسلمين في المنطقة لن يقبلوا أبدًا وجود دولة إسرائيل».

حصل هذا الرأي على أصداء لدى رئيس الحكومة إيهود أولمرت، الذي تطرق إلى هذا الموضوع في خطابه يوم 17 يوليو 2006 (في أيام حرب لبنان) أمام الكنيست: «المعركة التي نديرها في هذه الأيام هي معركة ضد منظمات «الإرهاب» العاملة من لبنان وغزة. هذه المنظمات ليست سوى مقاولين من الباطن تعمل بتوجيهات وتصريحات وبتشجيع وتمويل من الأنظمة الداعمة للإرهاب ومعارضي السلام في محور الشر الممتد من إيران حتى دمشق. إيران وسوريا ما زالتا تواصلان الإثارة بالريموت في الشئون اللبنانية والسلطة الفلسطينية من خلال حزب الله وحماس. وتعوق العناصر المتطرفة، «الإرهابيين»، حياة المنطقة كلها وتعرض استقرارها للخطر. تتعرض المنطقة التي نعيش فيها لتهديد من هذه الجماعات «الإرهابية» القاتلة. وتعد السيطرة عليهم ووقف نشاطاتهم مصلحة إقليمية - ودولية أيضًا[10]».

ثانيًا: هناك دلائل على أن الأنماط السلبية لدى الفلسطينيين أصبحت أكثر شيوعًا. على سبيل المثال، في عام 1997 - 39% ممن ردوا من الجماهير الإسرائيلية - اليهودية وصفوا الفلسطينيين بأنهم يتسمون بالعنف و 42% مخادعين. وفي نهاية 2000 كانت النتائج 68% و 51% على التوالي. في نوفمبر 2000 وافق 78% من المواطنين اليهود على الإعلان بأن الفلسطينيين لا يحترمون الحياة الإنسانية ولذلك فإنهم يصرون على استخدام العنف. على الرغم من العدد الكبير من الضحايا منهم (مقياس السلام نوفمبر 2000) فإن البحث الذي أجري في 2008 - عرض نتائج مشابهة: 77% من الذين ردوا اعتقدوا أن العرب والفلسطينيين لا يعلقون أي أهمية

(١٠)انظر: خطابه في http: //www.cjebaltimore.org/article.php?id 197 «مع بالغ الأسف فإنهم حتى الآن ليسوا مستعدين لذكر الكلمات البسيطة: دولة إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي وأنها ستظل هكذا.

على حياة الإنسان و79% ـ وافقوا على إعلان أن الخداع سمة دائمة للفلسطينيين والعرب. (Bar-Tal, & Halperin2009) بينما كانت هناك قبل اتفاقات أوسلو بعض الدلائل على رؤية أكثر انتقادًا للنشاطات الإسرائيلية واعتراف بأن إسرائيل مسئولة أيضًا عن «الجمود السياسي» في العلاقات العربية الإسرائيلية (خاصة في برنامج حزب العمل وبين نشطائه). منذ عام 2000 والعرب متهمون مرة أخرى بالإجماع بإطالة الصراع والتعنت غير المبرر الذي يرفض أي حل بالطرق السلمية. على سبيل المثال، يصرح برنامج حزب العمل في عام 2003 بأن «الآمال في إنهاء الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين قد شرخت بقوة بسبب موجات العداء والتحريض والعنف غير المنضبط برعاية السلطة الفلسطينية...»

هذا الاتجاه معروف بوضوح في برنامج الليكود عام 2009

«نحن لا نؤمن بأن الفلسطينيين جاهزون لتسوية تاريخية للصراع. لا يوجد أي دلائل على أن الفلسطينيين مستعدون لقبول ولو حتى الحد الأدنى مما يطلبه أي قائد إسرائيلي. فلقد رفض الفلسطينيون تنازلات كبيرة قدمناها ـ نحن الإسرائيليين ـ منذ ثماني سنوات ولم يتغير موقفهم أو اعتدل حتى الآن».

وكرر نتنياهو هذه الفكرة في خطابه في جامعة بار إيلان في يونيو 2009: لماذا يستمر هذا الصراع لأكثر من 60 سنه؟! الحقيقة بسيطة هي أن جذور الصراع كانت وما زالت هي رفض الاعتراف بحق الشعب اليهودي في دولته الخاصة في وطنه التاريخي. كلما اقتربنا من اتفاق سلام معهم، يبتعدون عنا. وهم يكررون المطالب التي لا تتفق مع الرغبة في إنهاء الصراع... تعاود حماس في الجنوب مثل حزب الله في الشمال التصريح بأنهم يهدفون إلى تحرير عسقلان وبئر سبع وعكا وحيفا. ولم تغير الانسحابات كراهية حتى المعتدلين من الفلسطينيين.

وتشير استطلاعات الرأي إلى أن غالبية اليهود الإسرائيليين يشاركون في هذا الرأي. في عام 2007 وأيضًا في عام 2009 كان حوالي 44% فقط من الإسرائيليين اليهود يؤمنون بأن غالبية الفلسطينيين يريدون السلام، ومقارنة بـ 64% ـ اعتقدوا ذلك في عام 1999 (انظر شكل رقم 4).

شكل 4: نسبة اليهود الإسرائيليين المؤمنين بأن غالبية الفلسطينيين يريدون السلام

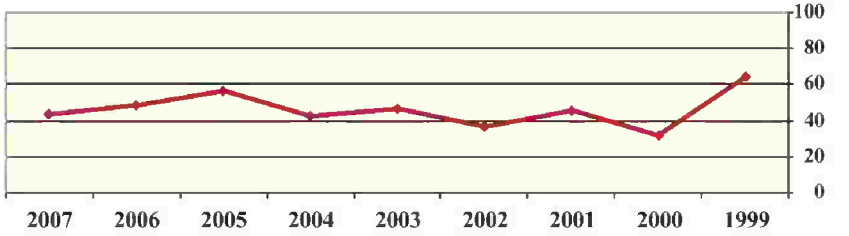

وفقًا لذلك تشير استطلاعات الرأي إلى ارتفاع في نسبة الردود التي اعتقدت أن هدف العرب النهائي هو تدمير دولة إسرائيل. بينما نجد أن 50% فقط من اليهود في إسرائيل اعتقدوا ذلك في عام 1997 وآمن بذلك 71% في عام 2009 (انظر شكل رقم 5).

شكل 5: نسبة اليهود الإسرائيليين الذين يعتقدون أن الهدف النهائي لدى العرب هو إبادة دولة إسرائيل (فيما بين السنوات 1993- 2007)

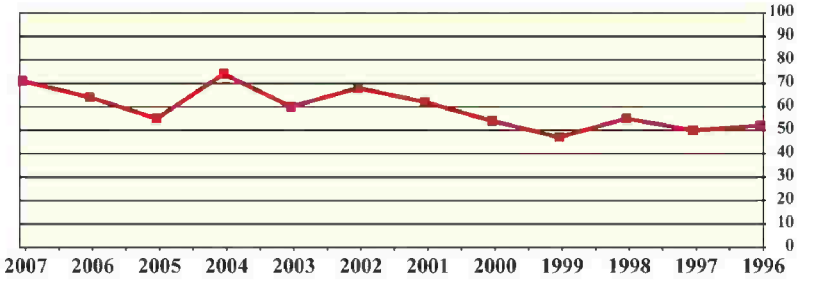

مرة أخرى، يمكن أن توضح هذه الاعتقادات المشتركة عن نوايا الفلسطينيين السلبية ومستوى الشكوك العالي تجاههم، لماذا يرد الإسرائيليون بصورة سلبية على فكرة الدولة الفلسطينية في حدود معقولة ولا يؤيدون المقترحات المطروحة في جدول الأعمال.

إحساس الضحية

يوجد منذ عام 2000 اتجاه داخل المجتمع الإسرائيلي للعودة إلى النظريات التقليدية للضحايا. بدأ يظهر هذا الإحساس من جديد مع اندلاع الانتفاضة الثانية ـ (خريف 2000). كما ذكر من قبل أغلب اليهود الإسرائيليون اتهموا الفلسطينيين بأنهم المسئولون عن اندلاع الانتفاضة واعتقدوا أن الفلسطينيين هم المسؤولين الوحيدين أو على الأقل المسؤولين الرئيسيين عن تدهور العلاقات بينهم وبين الإسرائيليين، لكن هذا لم يكن السبب الوحيد (Bar-Tal& Sharvit, 2008) تفاقم هذا الإحساس العميق بالضحية الذي انتشر بين أغلب اليهود في إسرائيل جراء الأحداث الانتحارية المتكررة، التي حصدت أيضًا أرواح كثير من اليهود، وأغلبهم من المدنيين.

يتضح في الاستطلاع الذي أعددناه خلال شهر نوفمبر 2007 واعتمد على نموذج تمثيلي أن 81% من اليهود الإسرائيليين وافقوا على مقولة» على الرغم من رغبة إسرائيل في السلام فإن العرب فرضوا الحرب مرارًا وتكرارًا (Halperin& Bar-Tal, 2009) وبصورة أكثر دقة، في الاستطلاع الذي أجريناه في 2008، أعرب 61 % على الأقل من اليهود في إسرائيل عن موافقتهم على الموقف القاضي بأن إسرائيل كانت خلال سنوات الصراع هي الضحية؛ بينما العرب الفلسطينيين هم المجرمون (Bar-Tal, Chernyak-Hai Schori& Gundar, 2009). ومن المهم أن رؤية الإحساس الإسرائيلي بالضحية سائدة بين الجماهير اليهودية في مقابل الإيمان الواثق بقدرة

إسرائيل العسكرية. ويوجد هذا الربط بين المنظورين خليطًا متناقضًا يمكن أن يؤدي إلى تصرف عسكري (انظر Bar-Tal, Magal, & Halperin, 2009).

يؤكد سياسيون إسرائيليون في خطبهم على معاناة المواطنين اليهود، بينما نجدهم يعرضون الشهداء بين المواطنين الفلسطينيين كضحايا فقط لأعمال القيادة الفلسطينية. ويمكن أن نجد الدليل على هذا الموقف في خطاب رئيس الوزراء السابق، إيهود أولمرت، يوم 17 يناير 2009 في ضوء الحرب على غزة، التي انتهت بوفاة حوالي 1300 فلسطيني، أغلبهم من المدنيين.

إسرائيل التي غادرت قطاع غزة حتى آخر مليمتر فيه خلال عام 2005 ليس من أجل أن تعود اليه، وجدت نفسها تحت سيل منهمر من الصواريخ. لقد سيطرت حماس بالقوة على قطاع غزة وبدأت تهاجم مستوطنات الجنوب بقوة. ولا مجال في عالمنا للأساليب التي تتبعها حماس. لقد وضعت منظوماتها العسكرية في أحياء سكنية مكتظة، وعملت باعتبار أن المواطنين يعدون درعًا بشريًا لها، وعملت في حماية المساجد، والمدارس والمستشفيات، بجعلها المواطنين الفلسطينيين رهائن لأعمالها «الإرهابية»، انطلاقًا من إدراك أن إسرائيل كدولة لها قيم عليا، ولن تتحرك ضدهم. تم إحياء قيادة حماس الخارجية بصورة هادئة ومناسبة، وواصلت وضع سياسات متطرفة، مع تجاهل معاناة المواطنين المستمرة وانطلاقًا من عدم رغبة واضحة في التوصل إلى مرونة في وضعها... أريد أن أقول شيئًا لمواطني غزة: قبل أن تبدأ العملية العسكرية وفي أثنائها توجهت إليكم. نحن لا نكرهكم، لم نرد ولا نريد الإضرار بكم. لقد أردنا حماية أولادنا، وآبائهم، وأسرهم. نحن نتألم لإصابة أي طفل فلسطيني وأفراد أسرته الذين سقطوا ضحية واقع وحشي أوجدته حماس وجعلكم ضحايا لها.

يقدم هذا الوضع إسرائيل على أنها ضحية للقيادة الفلسطينية التي «تضطرها» إلى قتل الفلسطينيين. ويمكن أن نجد نموذج قديم على ذلك في الاقتباس الذي

ينسب عادة لرئيسة وزراء إسرائيل السابقة، جولدا مائير، حينما وجهت حديثها للرئيس المصري أنور السادات قائلة: «نحن يمكن أن نغفر لكم قتل أبنائنا. لكننا لا يمكن أبدًا أن نغفر أنكم أجبرتمونا على قتل أبنائكم». الفكرة القائلة بأن حماس «أجبرت» إسرائيل على قتل فلسطينيين أبرياء أصبحت مرة أخرى شائعة أثناء الحرب على غزة. على سبيل المثال، مقتطف من مقال كتبه الأديب الإسرائيلي وناشط السلام أ.ب. يهوشوع، عام 2009 أثناء العملية في غزة:

«نحن لا نقصد قتل أطفال فلسطينيين انتقامًا لقتل أولادنا، وإنما نحن نحاول فقط دفع قادتهم إلى وقف هذا العدوان الظالم والمجرم، وفقط بسبب الخلط المأساوي والمتعمد بين مقاتلي حماس والمواطنين المدنيين بقتل أطفال مع بالغ أسفنا» (أ. ب. يهوشوع . خطاب مفتوح لجدعون ليفي، هآرتس 09/1/16).

مرة أخرى اتسع الإصرار على معتقد الضحية في المجتمع الإسرائيلي متجاوزًا العلاقات الإسرائيلية العربية إلى اعتبار إسرائيل ضحية لعالم معادي يضم دولًا غربية ومنظمات دولية مثل الأمم المتحدة. ففي استطلاع تم في نوفمبر 2007 وافق 98% من اليهود في إسرائيل على «أن الشعب اليهودي كان تحت تهديد وجودي على مر التاريخ» (Halperin& Bar-Tal, 2009) وتغذي القيادة الإسرائيلية هذا الرأي. على سبيل المثال نقتبس من خطاب رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، في حفل إحياء ذكرى أحداث النازي 2009: «لن نسمح لمنكري أحداث النازي بتنفيذ أحداث أخرى ضد الشعب اليهودي. هذا واجب أعلى لدولة إسرائيل. هذا واجبي الأعلى كرئيس لوزراء إسرائيل... إن العالم يسمعنا صوتًا ضعيفًا إزاء أولئك الذين ينادون بمحو إسرائيل (هارتس 21 أبريل 2009).

وتعكس الآراء الموصوفة عن الجماهير وعن القيادة، عقلية الحصار المتجذرة عميقًا ويتسم بها المجتمع اليهودي ـ الإسرائيلي عبر سنوات طوال.

ألفي عام في المنفى تأخذ معنى فترة طويلة واحدة من الاضطهادات، كأن أحداث النازي لا تعد كارثة قومية تركت بصماتها على النفسية الجمعية. والاعتقاد بأن العالم كله ضدنا مرتبط بصورة واضحة بالاعتقادات الأيديولوجية المؤيدة لاستمرارية الصراع (Bar-Tal, 2007b Halperin, Bar-Tal, Nets-Zehngut & Drori, 2008; Bar-Tal & Antebi, 1992).

التصور الذاتي الإيجابي للقوة العسكرية والأخلاقية السامية

في السنوات 2000 ـ 2009 ساد استقرار بالغ بل وتعزز ما في الاعتقادات الإيجابية تجاه التفوق العسكري للجيش الإسرائيلي مقارنة بالعرب (مع أي انسحاب بعد حرب لبنان الثانية). على سبيل المثال، في عام 1993 اعتقد 58% من اليهود الإسرائيليين أنه يمكن أن تدخل إسرائيل في حرب ناجحة ضد كل الدول العربية. انخفضت هذه النسبة إلى 48% في عام 2000 وبعد ذلك ارتفعت ثانية إلى 67% في 2004 إلى 72% في (Oren, 2005) وفي عام 2009 ادعى 75 % أن إسرائيل يمكنها النجاح في حرب شاملة واتفق 80% ـ على أن الجيش الإسرائيلي يمكنه أن يدافع عن الدولة (بن مائير، 2009).

أيضًا كانت الثقة في تفوق إسرائيل قياسًا بقوة الفلسطينيين وبقدرتها على مواجهة الانتفاضات الفلسطينية، مرتفعة جدًا. على سبيل المثال اعتقد 70% ممن شملهم استطلاع أكتوبر 2007 أنه إذا استمر الوضع الحالي، فإن المجتمع الإسرائيلي يمكنه أن يصمد فترة طويلة من حيث المناعة الداخلية قياسًا بالمجتمع الفلسطيني. وبما يشبه ذلك قال 63% أن المجتمع الإسرائيلي بوضعه الحالي، أفضل من المجتمع الفلسطيني (استطلاع السلام أكتوبر 2007 إضافة إلى اعتقاد 42%، ممن شملهم استطلاع ـ JIPP في يونيو 2009 أن المجتمع الإسرائيلي قادر على الصمود «إلي الأبد» في الصراع الذي فرض عليه مع الفلسطينيين. اعتقد 17 % أن إسرائيل ستكون

قادرة على التحمل «عدة عقود أخرى» بينما اعتقد 15% أنها يمكن أن تصمد عشر سنوات أخرى.

يمكن أن تخفض هذه الثقة في قدرة الصمود ومناعة المجتمع الإسرائيلي، من دافعية الإسرائيليين لإنهاء الصراع في المستقبل القريب، نظرًا لأن هذه الاعتقادات تدعي أن إسرائيل يمكنها أن تصمد في صراع مستمر. ويتعزز الرأي الإيجابي بشأن القوة العسكرية في ضوء الرأي الإيجابي عن مستوى الاخلاق الإسرائيلية. ويؤكد رئيس وزراء إسرائيل،ورئيس الدولة ورئيس هيئة الأركان، في خطبهم مرارًا وتكرارًا على الرأي بأن الجيش الإسرائيلي هو الجيش الأكثر أخلاقية في العالم («انظر على سبيل المثال حديث مع رئيس هيئة الأركان، جابي إشكنازي،هآرتس 5 أبريل 2009») ويبدو أن الجمهور لديه اعتقادات مشابهة. على سبيل المثال، غالبية الجماهير اليهودية (64%) لا يؤمنون بشهادات الجنود الذين اشتركوا في حرب غزة عام 2009 والتي تقول أن قوات الجيش الإسرائيلي قد أصابت المواطنين والمباني الفلسطينية بأوامر (مقياس السلام مارس 2009).

اعتقادات في السلام

منذ عام 2000 تشير عدة دلائل إلى أن اعتقادات السلام أصبحت أقل رئيسية في المجتمع الإسرائيلي. على سبيل المثال،على عكس السنوات السابقة، يذكر السلام على فترات متباعدة في برامج الليكود الانتخابية و«العمل» في السنوات 2006، 2003 و 2009. بينما نجد أن الحزب الثالث من حيث الحجم في الكنيست عام 2009 ـ «إسرائيل بيتينو» يصرح تفصيلًا في برامجه الانتخابي أن السلام ليس هدفًا رئيسيًا وأنه هامشي بالنسبة لأهداف أخرى مثل الأمن والدولة اليهودية[١١].

(١١) السلام هو أمنيتنا، لكنه ليس قيمة أعلى من وجود دولة إسرائيل كدولة للشعب اليهودي ومن الأمن الدائم لكل مواطنيها.

وتشير استطلاعات الرأي العام أيضًا إلى أنه منذ عقد الألفين ـ أصبح السلام، كهدف، سائدًا على الأقل. على سبيل المثال، في إطار استطلاعات INSS (معهد بحوث الأمن القومي) في جامعة تل أبيب، طلب من العينة أن تصنف أربعة قيم وفقًا لترتيب الأهمية: الديموقراطية، السلام، فلسطين الكاملة وأغلبية يهودية في إسرائيل. منذ عام 2000 برز انخفاض ملموس في أفضلية السلام كهدف: من 72% عام 2000 إلى 57% ـ في عام 2009، وضعوا السلام كهدف «هام جدًا» أو«الثاني في الأهمية». إضافة إلى ذلك، حينما اندلعت أعمال العنف في عام 2000 بدأ كثير من اليهود في إسرائيل يعربون عن تشاؤمهم من احتمالات حل الصراع. على سبيل المثال، يشير استطلاع INSS إلى انخفاض في مستوى التفاؤل وارتفاع في مستوى التشاؤم بشأن احتمالات السلام. بينما اعتقد 56% فقط في عام 2001 بأنه لا يمكن التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين، اعتقد 69% أن ذلك ممكنا في عام 2007. (انظر شكل 6).

سمعت في السنوات الأخيرة أكثر من مرة في الأحاديث العلنية مع متخذي القرارات ومخططي السياسات في إسرائيل تعبيرات متشائمة عن إمكانية التوصل إلى سلام. على سبيل المثال، قال عوزي أراد، رئيس هيئة الأمن القومي في مكتب رئيس الوزراء، في حديث أدلى به في يوليو 2009: «سيكون من الصعب التوصل إلى تسوية إسرائيلية ـ فلسطينية حقيقية تتجاهل أغلب الصراع. أنا لا أري أنه يمكن في السنوات القادمة خلق نفس الواقع الآخر الذي يرغب فيه الإسرائيليون».

وبالفعل، في إثر زعمائهم، أغلب اليهود في إسرائيل ليسوا متشائمين فقط من احتمالات التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين، وإنما أيضًا من احتمالات أن يؤدي هذا الاتفاق (إذا تم التوقيع عليه) إلى إنهاء الصراع. وكما نرى في شكل 7 تشير استطلاعات الرأي إلى أنه بعد اندلاع الانتفاضة عام 2000 انخفضت بصورة حادة نسبة اليهود الإسرائيليين الذين يؤمنون بأن اتفاق السلام سيؤدي إلى إنهاء الصراع

من 67% عام 1997 إلى 25% عام 2007 وإلى 20% عام 2009 . ومع هذا الإحساس المتشائم فيما يتعلق باحتمالات السلام، لا عجب في إشارة استطلاعات الرأي العام في إسرائيل إلى معارضة الجماهير للاقتراحات المختلفة لإنهاء الصراع (بما فيها المقترحات الإسرائيلية).

شكل 6: نسبة اليهود الإسرائيليين الذين يعتقدون باستحالة التوصل لاتفاق سلام مع الفلسطينيين

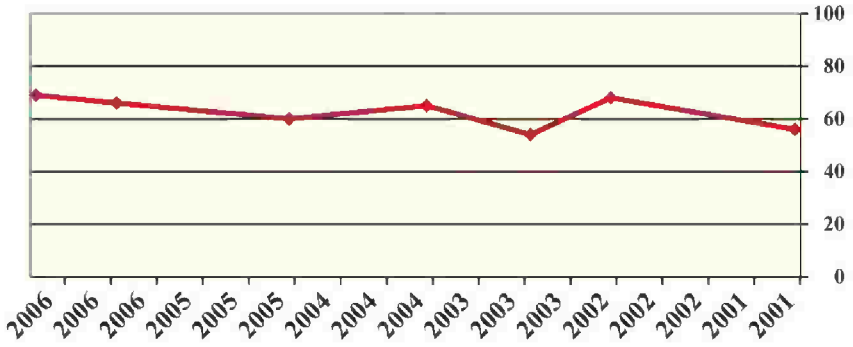

تتناسب المعطيات المذكورة أعلاه بشأن الاعتقادات الاجتماعية المختلفة، مع نتائج بحث متعمق واسع النطاق نفذ في السنوات 2002 ـ 2003. في إطار هذا البحث تمت مقابلة 100 مواطن إسرائيلي ـ يهودي كانوا على الأقل في السابعة عشر من عمرهم أثناء حرب 67 (وهم عينة ممثلة لمواقف سياسية وطبقة اجتماعية ـ اقتصادية. ويظهر البحث بصورة عامة أن أخلاقيات الصراع غائرة عميقًا داخل المواطنين الكبار في المجتمع الإسرائيلي اليهودي (حمائم وصقور معًا). وكثير منهم يؤمنون بأن لليهود حق وحدهم في كل أراضي فلسطين وأنه تم تحرير الضفة الغربية وقطاع غزة في حرب 67. لكن جزء من الحمائم يعتقدون أن للفلسطينيين حق ما على نفس الأرض. وعلى الرغم من ذلك، فبينما نجد أن أغلب العينة فهمت أن فكرة «أرض إسرائيل الكاملة» هي فكرة غير واقعية وقبلوا فكرة تقسيم

الأرض بين القوميتين، إلا أنهم يعارضون التفكيك الكامل للمستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة وأغلبهم يوافقون على تفكيك المستوطنات البعيدة فقط. وفي النهاية،فإن أغلبهم يعتبرون القدس عاصمة لدولة إسرائيل ويعارضون تقسيمها. كما يرفضون تقريبًا بالإجماع حق عودة اللاجئين الفلسطينيين ويؤمنون بأن مثل هذا العمل سيؤدي إلى دمار الدولة اليهودية. وفي نفس الوقت، كل العينة تقريبًا، بما فيهم كثيرون عرفوا أنفسهم بأنهم «حمائم» أعربوا عن عدم ثقة متطرفة في نوايا العرب عامة والفلسطينيين بوجه خاص، وصنفوهم بصورة سلبية. وهم يؤمنون بأن التطلع إلى السلام سيتحقق، ويرجع هذا في الأساس إلى سمات طبيعة وتطلعات الفلسطينيين (انظر:رفيف، بر ـ طال وأرفيف ـ أبراموفيتس، تحت الإعداد).

شكل 7: نسبة اليهود الإسرائيليين المؤمنين أن اتفاق سلام مع الفلسطينيين لن ينهي الصراع العربي الإسرائيلي

(بن- مئير، 2008، ص 73)

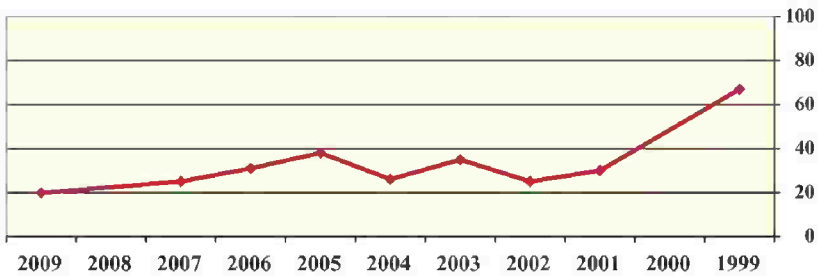

اعتقادات ظرفية ومؤيدة للصراع

إضافة إلى الاعتقادات الأيديولوجية العامة التي تعوق أي تقدم محتمل في صنع السلام، ظهرت أيضًا اعتقادات ظرفية تؤيد استمرار الصراع. هذه الاعتقادات تظهر

في ظروف معينة داخل الإطار العام للصراع. نتطرق في هذا الفصل إلى ظرفين رئيسيين ينتشران بين الجمهور الإسرائيلي.

١. ليس لدى القادة الفلسطينيين الرغبة ولا القوة لتطبيق اتفاق سلام فعال مع إسرائيل.

٢. الزمن يعمل لصالحنا ولا يوجد أي ضغط ملموس على إسرائيل لإنهاء الصراع.

ظهر الاعتقاد القائل بأن الزعيم الفلسطيني ليس شريكًا في السلام، في السنوات 2000 ـ 2004 بالنسبة للزعيم الفلسطيني السابق ياسر عرفات. فقد عرض على أنه غير مستعد لإنهاء الصراع مع إسرائيل وكذلك أيضًا «غير معني بذلك. وقبلت الجماهير الإسرائيلية هذا التوصيف وكأنه حقيقة مطلقة. على سبيل المثال، في استطلاع أجري عام 2001 أجاب 70% أن عرفات بصورة شخصية يعدم الرغبة أو القدرة على التوقيع على اتفاق سلام يؤدي إلى إنهاء الصراع مع إسرائيل، حتى لو وافقت إسرائيل على كل طلباته (مقياس السلام مايو 2001). منذ ارتقاء أبو مازن لرئاسة السلطة الفلسطينية عام 2004 بعد موت عرفات، تعرضه القيادة الإسرائيلية ووسائل إعلامها بصفة خاصة على أنه غير قادر على تطبيق اتفاق سلام مع إسرائيل[12]. هذا الاعتقاد شائع الآن بين الغالبية العظمى من الجماهير الإسرائيلية، وتضيف بعض الجماهير إلى ذلك اعتقاد بأن أبو مازن لا يهتم أيضًا بإنهاء الصراع. على سبيل المثال، وفقًا لاستطلاع أجرته JIPP في سبتمبر 2005 ـ اعتقد 83% أن أبو مازن ليس قويًا بما فيه الكفاية لإقناع الفلسطينيين بقبول اتفاق تسوية مع إسرائيل. إضافة إلى ذلك، بينما يؤمن 55% من اليهود في إسرائيل بأن السلطة الفلسطينية بقيادة أبو مازن غير مهتمة بالسلام، فإن الغالبية العظمى 71% يعتقدون باستحالة التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين دون موافقة حماس (مقياس السلام نوفمبر 2007). ومن منظور صناع

(١٢) بصفته رئيسًا للسلطة الفلسطينية، قال عنه رئيس وزراء إسرائيل، أريئيل شارون، «إنه فرخ صغير، لم ينبت له ريش بعد (هآرتس 12 يونيو 2003).

القرار،هناك نموذج بارز على هذه النظرة يظهر من الحديث الذي جرى مؤخرًا مع عوزي أراد (رئيس هيئة الأمن القومي):

«كل من لديه عينان في رأسه، يرى أن هناك فشلًا قياديًا فلسطينيًا. لا يوجد سادات فلسطيني. لا يوجد مانديلا فلسطيني. أبو مازن ليس فظًا مثل عرفات ولا متحمس ومتطرف مثل حماس. قد يكونوا أسوأ منه. لكني لم الحظ لديه أيضًا اهتمام ورغبة في التوصل إلى إنهاء الصراع مع إسرائيل».

الاعتقاد بأنه لا يوجد شريك في الجانب الفلسطيني، مصحوب باعتقادات ظرفية بأن الزمن يعمل لصالحنا وأنه لن يوجد ضغط خارجي على إسرائيل لإنهاء الصراع. الاعتقاد الاجتماعي الأخير كان شائعًا على الأقل إلى أن انتخب باراك أوباما لرئاسة الولايات المتحدة. على سبيل المثال، أجرى مركز تامي شتاينمتس في جامعة تل أبيب استطلاعًا في نوفمبر 2004، أشار إلى أن 46% يعتقدون أن هناك احتمال منخفض أو منخفض إلى حد ما بأنه إذا تجاهلت إسرائيل حكم المحكمة الدولية لمجرمي الحرب في لاهاي بشأن دستورية الجدار العازل وامتنعت عن تطبيق معاهدة جنيف على المناطق، فسوف تفرض عليها عقوبات اقتصادية تشبه تلك التي فرضت على جنوب أفريقيا بسبب نظام التفرقة العنصرية. وخشي حوالي 37% فقط من أن يكون هناك احتمال كبير إلى حد ما أو كبير جدًا لأن تفرض مثل هذه العقوبات على إسرائيل.

تجدر الإشارة إلى أنه في أغسطس 2009 وفي ضوء ضغوط الولايات المتحدة برئاسة باراك أوباما، بدأت الجماهير اليهودية في إسرائيل تتشكك في قدرة الحكومة الإسرائيلية على الصمود أمام الضغط الدولي الحالي والمتوقع. فعلى سبيل المثال، في الاستطلاع الذي أجري عام 2009 قال 54% من اليهود في إسرائيل أنهم لا يثقون في قدرة الحكومة على الصمود أمام ضغوط دول العالم والحفاظ على مصالح الدولة السياسية والأمنية. ويمكن القول أنه سيكون لهذه التطورات تأثير قاطع على ديناميكية الصراع في الشرق الأوسط في السنوات القادمة.

بصورة عامة، تقلل الاعتقادات المطروحة أعلاه من الدافعية الإسرائيلية للتوصل إلى اتفاق. وبالفعل يقول 49% أنه إذا تطلب اتفاق السلام تنازلات كبيرة، فإنه سيكون من الأفضل الاستمرار في الوضع الحالي، وهذا مقارنة بـ 43% ـ يفضلون اتفاق حتى ولو كان ثمنه تنازلات صعبة (مقياس السلام، مارس 2008).

موانع شعورية في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني

مستويات الخوف في المجتمع الإسرائيلي: منذ أوائل الستينيات أظهرت الاستطلاعات التي أجريت بين الجمهور اليهودي الإسرائيلي مستويات عليا من الخوف (Antonovsky & Arian 1972) الذي ظل فاعلًا في الرأي العام الإسرائيلي أيضًا في العقدين التاليين (Bar Tal, 2001. Arian, 1998). أخيرًا وبعد اندلاع الانتفاضة الثانية عام 2000 زاد الخوف الفردي بين إسرائيليين يهود بصورة درامية (Bar-Tal & Sharvit, 2008; Ben Dor Canetti-Nisim & Halperin, 2007). على سبيل المثال، بينما أفاد في عام 1999 58% من الإسرائيليين اليهود أنهم خائفون أو خائفون جدًا من أن يضاروا هم أو أفراد أسرهم من «الإرهاب»، فإنه في عام 2004 وبعد هدوء الموجة «الإرهابية» الكبرى، قال 80% من اليهود الإسرائيليين أنهم يشعرون بالخوف من ركوب الحافلات وقال 60% ـ أنهم يخشون من أن يتواجدوا في أماكن مزدحمة أو عامة (بن سيمون 2004). من المهم معرفة أنه أيضًا في عدة سنوات بعد هدوء «إرهاب المنتحرين» في الأراضي الواقعة تحت السيادة الإسرائيلية، ظلت مستويات الخوف عالية. في عام 2009 كان 70% من اليهود في إسرائيل ما زالوا يفيدون أنهم خائفون جدًا من أن يصابوا هم أو أفراد أسرهم من «الإرهاب» (بن مائير 2009).

بصورة عامة، وكما نرى في شكل 8 فيما يلي، فإن مستويات الخوف من وقوع حرب في المستقبل ومستويات الخوف من «الإرهاب» بين اليهود في إسرائيل كانت عالية نسبيًا وثابتة طوال العقد الأخير (Ben-Dor & Canetti, 2009).

في سلم 1 (خوف منخفض) حتى 6 (خوف عالي) لم تنخفض مستويات الخوف من «الإرهاب» إلى ما دون مستوى 4،78 حتى بعد انخفاض توالي أحداث «الإرهاب» بصورة ملموسة. وتظهر هذه النتائج أنه منذ عام 2000 يعد الخوف سمة نفسية دائمة ورئيسية في كل المجتمع اليهودي في إسرائيل.

شكل 8: مستويات الخوف من الإرهاب والحرب المستقبلية بين اليهود في إسرائيل
(Ben-Dor & Canetti, 2009)

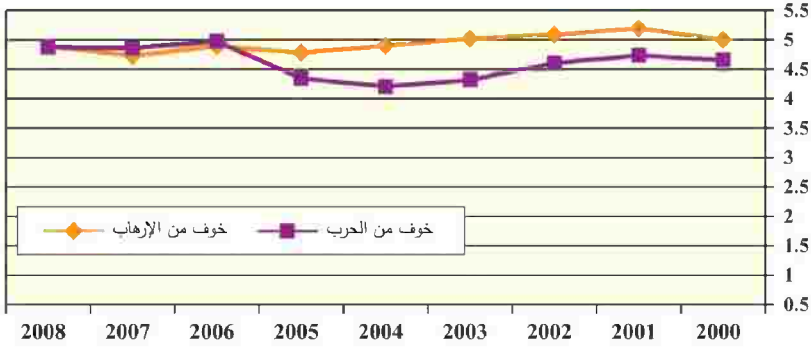

في السنوات الأخيرة أضيفت مصادر خوف إلى مشهد الخوف الفردي لليهود في إسرائيل. تقريبًا أعرب نصف اليهود في إسرائيل (40% في عام 2006 و 41% في عام 2007) عن خوف عالي أو عالي جدًا من هجوم غير تقليدي (أسلحة نووية، بيولوجية أو كيميائية) تصيبهم هم أو أقاربهم (Ben-Dor et al., 2007) إضافة إلى ذلك، وبخاصة بعد حرب لبنان الثانية وهجوم الصواريخ المتواصل على شديروت، قال نصف اليهود الإسرائيليين 51% في عام 2006 إنهم يخافون من أن تصيبهم أو أقاربهم الصواريخ.

(Hall, Hobfoll, Canetti-Nisim, Johnson, Palmieri Varley & Galea2007)

الخوف من الحرب خوف من الإرهاب

على المستوى الجمعي وجدت الاستطلاعات التي أجريت في العقد الأخير أن الغالبية العظمى من اليهود الإسرائيليين ما زالوا يؤمنون بأن هجوم «الإرهاب» المستمر يمكن أن يؤدي إلى تهديد استراتيجي بل وحتى تهديد وجودي لإسرائيل (www.nssc.haifa.ac.il) أعرب 86% من الإسرائيليين عن هذا الإحساس في عام 2000؛ و87% في عام 2002 و83% في عام 2006 2007 Ben-Dor et al. يضاف إلى ذلك في عام 2006 أعرب 80% من الجمهور الإسرائيلي اليهودي عن مستويات عالية من الخوف من هجوم نووي إيراني، يمكن أن يؤدي إلى دمار دولة إسرائيل (مقياس السلام، أغسطس 2006). إضافة إلى ذلك، أفاد مؤخرًا (2003-2005) أكثر من ربع الجمهور الإسرائيلي عن مستويات خوف عالية من احتمال أن يلقي العرب بكل الإسرائيليين اليهود إلى البحر .www.nssc.haifa.ac.il وأخيرًا جاء في استطلاع إقليمي أجرته في مارس 2008 جمعية مناهضة تشويه السمعة، أن 82% من الشباب اليهود (أعمار 15-18) و77%من اليهود الكبار (فوق 18) يؤمنون بأن إسرائيل تعيش تحت إرهاب واضح أو تحت تهديد ما بالإبادة. ويظهر هذا البحث أيضًا أن 39% ـ من الشباب و35% ـ من الكبار يؤمنون بأن هناك معقولية ملموسة أو أي معقولية لتوقع كراهية يهودية أخرى في المستقبل، YnetApril 302008.

مستويات الكراهية في المجتمع الإسرائيلي: تنتشر الكراهية في المجتمع الإسرائيلي بدرجة أقل من انتشار الخوف، لكن تأثيراتها المحتملة ليست مدمرة على الأقل. في استطلاعين أجراهما كوفرمينتس وآخرون عام 2004-2005 (كوفرمينتس، روزن، سالمون، حسيسي2007)، ظهر أن حوالي ثلث الشباب اليهودي في إسرائيل (32% عام 2002 و 38% عام 2005) أفادوا بمستويات عليا من الكراهية للعرب. تجدر الإشارة إلى أن نتائج مشابهة وجدت في استطلاع أجري بين المواطنين الكبار، اعتمادًا على عينة ممثلة إقليمية من اليهود في إسرائيل،

أفاد فيه 37% من العينة عن مستويات متوسطة إلى عالية من الكراهية تجاه الفلسطينيين (Halperin, 2008b) وبصورة مفاجئة، ظلت هذه المستويات المتوسطة من الكراهية ثابتة ولم تزد بصورة ملموسة، ولا حتى بعد فترات التصعيد في الصراع والقتال المتبادل. على سبيل المثال، في الاستطلاع الإقليمي الذي أجري فور حرب لبنان، أفاد 35% من الإسرائيليين بمستويات عليا من الكراهية تجاه الفلسطينيين (Halperin, Canetti-Nisim Hoefler&Hirsch 2009). وبصورة مشابهة أفاد 33% من اليهود في إسرائيل عن مستويات عالية من كراهية الفلسطينيين في الاستطلاع الذي أجرى خلال العملية الأخيرة في غزة (انظر Halperin & Gross2009).

على الرغم من أن حوالي ثلث الجماهير في إسرائيل فقط أفادوا بكراهية عالية تجاه الفلسطينيين، فإن هذه المشاعر تعتبر أحد المشاعر المدمرة جدًا وأحد القوى المحركة القوية جدًا للصراع انظر (Halperin, 2008a) ويمكن أن يفسر ظهوره المنخفض نسبيًا في استطلاعات الرأي بعدم شرعية التعبير، ذلك لأن الكراهية تعتبر مشاعر غير سوية من الناحية السياسية (Politically (Correct لذلك فإن نتائج استطلاعات الرأي، التي تحاول تقييم مستويات الكراهية في مجتمعات معينة، يمكن أن تتجه إلى أسفل وتكون غير دقيقة. لذلك فلن يكون مفاجئًا بصفة خاصة اكتشاف أن 64% من اليهود في إسرائيل أعربوا عن مستويات عالية من الكراهية تجاه الفلسطينيين، حيث أن أدوات قياس مستوى الكراهية كانت غير مباشرة ولم تذكر كلمة «كراهية» تفصيلًا انظر (Halperin & Canetti-Nisim, 2007).

آثار الموانع السوسيو ـ اجتماعية

نؤكد أولًا على أنه رغم أن بحثًا واحدًا فقط تم في صيف 2008 خطط لدراسة النموذج المقترح من البداية، إلا أن بعض الأبحاث في إسرائيل أعطت دلالة واضحة على صلاحية أجزاء من النموذج العام. وأظهرت أغلب هذه الأبحاث أن تأييد منظومة

الاعتقادات الاجتماعية التي تعد جزء من المشهد المؤيد للصراع، توجد بتنسيق عالي مع مستويات منخفضة من الانفتاح ومع مستويات عالية من التمسك بالمنطلقات غير المتسامحة التي تعوق عملية السلام في منطقتنا.

بل إن هناك أيضًا أبحاث تدل على مستوى عالي من مشاعر معينة مرتبطة بصورة وثيقة برفض تسويات حتمية لصنع السلام. ومن أجل وقف التأييد المبدئي للنموذج المقترح، نقدم عرضًا سريعًا لهذه الأبحاث.

اعتمادًا على نموذج إقليمي ممثل ليهود في إسرائيل (n550) وجد ماعوز ومكاولي (Maoz & McCauley, 2005) أن اثنين من أكبر المتنبئين بمعارضة صنع تسوية من خلال مفاوضات السلام هما الاعتقاد القديم بأن الصراع هو مبلغ صفر ومستويات عليا من نظرية التهديد التي ترجع إلى الفلسطينيين. وتكررت هذه النتائج بصحبة متغيرات أخرى، في استطلاع محدث جدًا اعتمد على نموذج إقليمي ممثل آخر (Maoz & McCauley, 2009) (n=504).

وهناك مجموعة أخرى من البحوث تؤكد دور الاعتقاد الأيديولوجي في عدم شرعية الفلسطينيين في تعطيل التقدم نحو السلام. لقد وجد هالفرين وزملائه (Nets-Zehngut & Almog, 2008, Halperin, Bar-Tal) أن عدم شرعية الفلسطينيين مرتبطة بالمستويات الدنيا من الأمل والتفاؤل بشأن احتمالات حل الصراع.

ووجد ماعوز ومكاولي (Maoz &McCauley, 2008) أن نزع الشرعية أدى بكثير من اليهود في إسرائيل إلى تفضيل الأعمال العدوانية مع الفلسطينيين على الحلول السياسية الإيجابية التي يمكن أن تحرز تقدمًا في العملية السلمية) انظر أيضًا: Hammack, Pilecki, Caspi, Strauss & Ruber, Nicol, 2008 اعتمادًا على نموذجين إقليميين ممثلين، وجد مؤخرًا بر طال وآخرون (Bar-Tal Schori, Chernyak-Hai, & Gundar, 2009) تماثلًا عاليًا بين الاعتقاد

بالتضحية الجمعية وبين المستويات الدنيا من الانفتاح على معلومة جديدة ومستويات دنيا من تأييد التسويات. وبصورة مشابهة، وجد سيلفان ونادلر (Sylvan & Nadler, 2005) اللذان استخدما منظومة بحث تجريبي، أن اليهود الإسرائيليين الذين اطلعوا على معلومات عن تضحية إسرائيلية واتسموا بأنهم ذوي التزام عالٍ للجماعة التي يعدون منها، أظهروا مستويات دنيا من الاستعداد للتصالح مع الفلسطينيين. ووجد ماعوز وإيدلسون (Maoz &Eidelson 2007) أيضًا أن الاعتقاد بالإضرار بالجماعة ينبئ بتفضيل العمل العدواني (الترحيل) على التسوية.

في بحث أجري مؤخرًا قام به شحوري وآخرون (Schori, Klar, & Roccas2009) ظهر تناسق عالي جدًا بين الإحساس الذاتي بالضحية الجمعية ونظرية الحق الأخلاقي (Moral Entitlement) بالإضرار بالفلسطينيين وتناسق سلبي بين هذا الإحساس وبين الاتهام المعبر عنه بإسم الجماعة (Group-Based Guilt) بشأن عمليات إسرائيل في المناطق المحتلة. وجد هذا الإحساس مرتبطًا أيضًا بالاستعداد للعمل بصورة عسكرية بأي ثمن، حتى وإن أدى ذلك إلى أضرار خطيرة للطرفين ـ الإسرائيلي أو الفلسطيني ـ ومع الرغبة بمواصلة مهاجمة جماعة العدو، حتى وإن كان هذا العقاب معناه المساس بالجماعة الداخلية.

وجد أيضًا برعام وزملاؤه (Baram, Dagan & Klar, 2000) أن الالتزام العالي بالرواية اليهودية بشأن الصراع، وكذلك أيضًا تجاوب عالي مع القومية اليهودية، يؤديان إلى معارضة عالية للتدخل في النشاطات التي يمكن أن تشكك في الرواية اليهودية (على سبيل المثال، الاطلاع على الرواية الفلسطينية عن الصراع عبر قراءة مقال أو مشاهدة فيلم).

في الآونة الأخيرة قدم برطال وزملاؤه (Bar-Tal, Raviv, Raviv, & Dgani-Hirsch2009) أول اختبار إمبريقي عن الطريقة التي نشأت بها الاعتقادات الأيديولوجية (التي تعرف أيضًا باسم أخلاقيات الصراع) التي يمكن أن تؤثر على الطريقة التي يعد بها

الناس المعلومة التي تتعلق بالأحداث المتناقضة المتعلقة بالصراع. كان الاكتشاف الرئيسي لهذه الأبحاث أن المشاركين ذوي المستوى العالي من أخلاقيات الصراع مالوا إلى النظر بصورة مختلفة إلى الصور ذات المعاني المتعددة التي تعرض لقاءات بين يهود إسرائيليين وفلسطينيين، مقارنة بالمشاركين ذوي المستويات المنخفضة لأخلاقيات الصراع. مال الأول إلى اعتبار الفلسطينيين أكثر عدوانية، واتهامهم بأنهم يبادرون بالعمليات العدائية واستخدام القوة العدوانية وإرجاع عدوانيتهم إلى عناصر داخلية ومستقرة.

بالنسبة لتأثير اعتقادات الظروف على الانفتاح على معلومة جديدة وعلى تأييد التسويات، قام جايير وزملاؤه (Gayer, Landman, Halperin & Bar-Tal, 200) باستخدام مشترك للقيم ـ البحثية التجريبية وواءموا بينها. ووجدوا أن المعتقد الظرفي بأن الوقت مع الفلسطينيين وكلما مر الوقت، يضعف موقف إسرائيل على طاولة المفاوضات ـ ينبئ بصورة ملموسة جدًا بإجراءات تسوية Unfreezing تؤدي إلى مزيد من الانفتاح على معلومة جديدة وتأييد بالغ للتسويات من خلال مفاوضات السلام. يضاف إلى ذلك، أن هؤلاء الباحثين وجدوا أيضًا تداخلات بسيطة تخلط معرفة الخسائر المستقبلية في حال استمرار الصراع، يمكن أن تؤثر على اتساع هذه التوجهات.

وبالنسبة لآثار الموانع الشعورية، وجد بحث حديث قام به هالبرين (Halperin, 2008b) أنه عشية مؤتمر أنابوليس (نوفمبر 2008) أدى الخوف الذي شعر به إسرائيليون يهود إلى نتيجتين مدمرتين. الأولى، عارض الذين شعروا بمستويات عليا من الخوف من الفلسطينيين، أي محاولة محتملة من جانب الوفد الإسرائيلي أثناء المفاوضات القادمة (انظر أيضًا Reifen., Halperin & Federico, 2008). كون أن هذه المخاطر تعد حيوية وضرورية لنجاح المفاوضات، فإن معاني الخوف في هذا

الشأن حاسمة. ثانيًا، الخوف في المستوى العالي يؤدي إلى نجاح ملموس في درجة تأييد التسويات التي يمكن أن تتضمن تهديدًا من أي نوع كان.

وبصورة أكثر دقة، بينما لا يرد أي تأثير للخوف (الإيجابي أو السلبي)على مستوى تأييد تسويات رمزية (على سبيل المثال، في مشكلة القدس)، برز له تأثير سلبي واسع على مدى تأييد التسويات على الأرض[13].

كما ذكر منذ فترة، الكراهية لها آثار محتملة مدمرة على المواقف والميول السلوكية في حالات الصراع. ظهر في بحث حديث، أن اليهود الإسرائيليين ذوي المواقف العليا من الكراهية تجاه الفلسطينيين، عرّفوا هدفهم النهائي بأنه» ضرب الفلسطينيين كلما أمكن ذلك « وأعربوا عن تأييدهم لأي عملية عنيفة تؤدي إلى إبادة الفلسطينيين (Halperin, 2008a) وفي بحث آخر وجدت كراهية تجاه الفلسطينيين كرؤية قوية جدًا لرفض التسويات (Halperin, 2008b) وأظهرت نتائج البحث أن اليهود الإسرائيليين الذين تحركهم الكراهية، يعارضون بصورة فعالة أي اطلاع على معلومة إيجابية عن الفلسطينيين أو عن احتمالات واقعية لحل الصراع. وتشير هذه النتيجة إلى أن الكراهية لها تأثير كبير على اتجاهات إعداد المعلومة في سياق الصراع.

وقد قمنا مؤخرًا ببحث يهدف إلى تقديم تأكيد تطبيقي أولى عن النموذج النظري المقترح، مع استخدام المنهج البحثي المناسب (Halperin & Bar-Tal, 2009) واعتمد البحث على أحاديث هاتفية مع 501 شاب يمثلون عينة تمثيلية للمجتمع الإسرائيلي اليهودي.

(١٣) تجدر ملاحظة أن الهدف الرئيسي للأشخاص الذين يشعرون بالخوف هو الوصول إلى وضع يشعروا فيه بالأمن، وليس بالضرورة تدمير الجماعة المعادية (انظر Halperin 2008 a)لذلك فإنه يمكن افتراض أنه في أوضاع معينة، يمكن أن يكون الخوف (على مستوى منخفض وفي الوقت السليم) ذا تأثير إيجابي على حل الصراع (انظر Gayer, Landman Halperin & Bar-Tal, 2009).

تضمن الاستطلاع درجات هدفت إلى قياس بعض الموانع السوسيو ـ نفسية التي عرضت في النموذج، أي:

أ ـ وجهات نظر عامة (قيم، نظريات تلميحية بشأن قدرة الجماعات على التغيير، صلاحيات سياسية وتوجهات سياسية)؛

ب ـ اعتقادات اجتماعية مؤيدة للصراع، تتضمن اعتقادات بعيدة المدى (رؤية ذاتية للتضحية الجمعية وعدم شرعية الجماعة الخارجية) واعتقادات ظرفية تتعلق بالوضع الحالي للصراع؛

ج ـ مشاعر سلبية بعيدة المدى.

وكمتغيرات مرتبطة (أي، نتائج الموانع) تم قياس الانفتاح على المعلومة فيما يتعلق بالصراع (معلومة بديلة عن الخصم أو عن عملية السلام) وتأييد التسويات السلمية.

أكد تحليل النتائج الأنساق الأساسية التي عرضت في النموذج النظري. أولا، أظهرت النتائج أن الجماهير الإسرائيلية لديها انفتاح على المعلومة الإيجابية الجديدة المرتبطة بالصراع (m= 3.28)[14]. من ناحية أخرى، كانت مستويات الإحساس بالتضحية (m=4.33 وعدم شرعية الفلسطينيين) (m=4.65 عالية نسبيًا). وتجدر الإشارة إلى أن مستويات المشاعر السلبية تجاه الفلسطينيين (m=3.57) وتأييد الاعتقاد بأن الزمن يعمل لصالح إسرائيل (m=3.06) لم تكن عالية بصورة خاصة.

والأهم من ذلك، أدت وجهات النظر العامة التي تم قياسها في البحث إلى تقليل في مستوى الانفتاح على المعلومة المتعلقة بالصراع وكذلك أيضًا في مستوى تأييد التسويات، وبخاصة عبر وساطة الاعتقادات الاجتماعية المؤيدة للصراع. وبمزيد من التفصيل، أولئك الذين آمنوا بأن الجماعات الاجتماعية لن تتغير أبدًا

(١٤) تم تقدير كل التفاصيل بتدريج (1غير موافق تمامًا إلى 6 موافق تمامًا).

(Entity Theorists) وأولئك الذين أظهروا ميولًا لشخصيات موثوقة، مالوا أيضًا للاعتقاد بعدم شرعية الفلسطينيين، وبعد ذلك مالوا إلى عرض مستويات منخفضة من الانفتاح على المعلومة الجديدة ومستويات منخفضة من تأييد التسويات. أدت أيضًا هذه الخصائص ـ السمات أي، الشخصية والموثوقة و(Entity Theory) إضافة إلى الميل للقيم المحافظة ـ التقليدية، إلى مستويات عليا من النظرة الذاتية للتضحية التي أدت إلى ذاك الاتجاه الانغلاقي تجاه المعلومة ورفض التسويات.

تجدر الإشارة إلى أن أولئك الذين تأثروا بالاعتقاد الظرفي بأن الزمن يعمل لصالح الإسرائيليين، وأولئك الذين أعربوا عن مستويات عالية نسبيًا من المشاعر السلبية (أي: الخوف، الكراهية والغضب) تجاه الفلسطينيين، كانوا هم أيضًا أولئك الذين كانوا أقل انفتاحًا على المعلومة الجديدة فيما يتعلق بالصراع أو على الفلسطينيين. يضاف إلى ذلك، أن الاعتقاد بأن الزمن يعمل لصالح الإسرائيليين، قاد الإسرائيليين إلى تساهل منخفض من أجل تحقيق السلام.

نتائج

تعد الصراعات جزء لا يتجزأ من أي منظومة علاقات بين البشر ومن المؤكد أنها جزء لا يتجزأ من منظومة العلاقات بين الجماعات. فالجماعات المختلفة لها أهداف ومصالح متصادمة تشعل الصراعات. وما من شك في أنه توجد في أساس الصراع خلافات حقيقية وعميقة يصعب جدًا التوصل إلى حلها لأن الناس، بطبيعتهم، لا يميلون إلى التنازل بسهولة عن مصادر السيطرة، والقوة أو المهابة. لكن بغض النظر عن الخلافات الحقيقية في الرأي، فإن أكبر صعوبة في حل الصراعات بالطرق السلمية تنبع من الموانع السوسيو ـ نفسية التي تصاحب كثير من الصراعات بين الجماعات، وبخاصة تلك التي تعتبر مستعصية وبعيدة المدى.

الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو صراع مستمر وصعب ونمطي، وهو مستعصي على الحل بالطرق السلمية. ومنذ بدايته تقريبًا جرت محاولات مختلفة للتوصل إلى حله، من خلال استخدام صياغات مختلفة، رفضت جميعها من أحد الجانبين أو منهما معا. في التسعينيات جرت محاولة منهجية ومكثفة بدا خلالها وكأن الطرفان قريبان من تسوية الخلافات بينهما، لكن هذه المحاولات أيضًا باءت بالفشل. ونحن نعلق مسئولية هذه الإخفاقات (وغيرها) على الموانع السوسيو ـ نفسية الكامنة عميقًا في الجماعتين، لدرجة أنه يصعب جدًا التغلب عليها في فترة وجيزة، بعد أن بنيت وتعززت وترسخت وتغذت على مدى عشرات السنين من الصراع.

ركزنا في هذا الفصل على الموانع السوسيو ـ نفسية التي تفشت في المجتمع اليهودي في إسرائيل. وبهذا التركيز لا يمكن طرح أن الموانع السوسيو ـ نفسية غير موجودة أيضًا في الجانب الفلسطيني. فالتركيز على الجانب الإسرائيلي اليهودي راجع إلى المعرفة الواسعة بالموانع في المجتمع الإسرائيلي ـ اليهودي وإلى الرأي القائل بأنه في الالفينيات ـ توفرت لدى إسرائيل الموارد والقوة للعمل على حل الصراع بالطرق السلمية، ذلك لأن إسرائيل تحتفظ بالمناطق في الضفة الغربية، على الرغم من الخروج من قطاع غزة إلا أنها ما زالت تسيطر بمفاهيم معينة على الحياة هناك من خلال حصار هذه المنطقة. إضافة إلى هذا الرأي يمكن أن نلحظ بوضوح أن هناك عوامل أخرى ساهمت في الجمود بل وفي تراجع عملية السلام. ذلك، لأنهم أيضًا في الجانب الفلسطيني، ودول عربية أخرى وفي المجتمع الدولي يتحملون مسئولية جزئية عن عدم نجاح العملية. ومن الواضح لنا أن اليهود ليسوا وحدهم الذين لعبوا دورًا رئيسيًا في مد أمد الصراع طوال سنواته المئة. ومع ذلك، فإن هدف هذا الفصل ليس تحليل عميق لكل المناظير أو كل الموانع السوسيو ـ نفسية في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وإنما تقديم نموذج للدور الذي تلعبه هذه الموانع السوسيو ـ نفسية في منع حل الصراع الدموي بالطرق السلمية. هذا التحليل

هو بمثابة تحليل لحالة إطار نظرية عامة يمكن تطبيقها أيضًا على النظرية والسلوك الفلسطيني في الصراع، وكذلك أيضًا في الصراعات الطويلة المتواصلة الأخرى.

نحن نركز على المجتمع الإسرائيلي اليهودي لأن المجتمع الإسرائيلي أوجد عبر السنين أيديولوجية قومية راسخة وفرت له مزاعم ترسخت جيدًا لتأييد إبقاء الوضع على ما هو عليه. وتضرب أسس هذه الأيديولوجية عميقًا في الصهيونية واليهودية التي خدمت بإخلاص العودة الأولى لليهود إلى «وطنهم» وبعد ذلك إقامة الدولة. أدت حرب 67 التي كانت مرتبطة باحتلال أراضي جديدة ونتائج غير مقصودة، إلى إعادة بناء الأيديولوجية، التي هدفت إلى تقديم المبرر الصلب للوضع الجديد الذي نشأ. في الأساس أعادت هذه الأيديولوجية صياغة أخلاقيات الصراع التي سيطرت على المجتمع اليهودي حتى قبل حرب67. فقد قدمت مجموعة من الاعتقادات الاجتماعية المنظمة هدفت إلى تبرير الاحتفاظ بالمناطق المحتلة لأسباب مختلفة: دينية، تاريخية،قومية،وأمنية. يضاف إلى ذلك،أن هذه الاعتقادات شملت عدم شرعية الفلسطينيين، ورفض هويتهم القومية، وإلقاء مسئولية استمرار الصراع على الجانب الفلسطيني فقط وتقديم رؤية مهددة للمجتمع الفلسطيني. تعارضت هذه الاعتقادات مع الاتجاه إلى تعظيم الجانب اليهودي وتتعارض مع إحساسه العميق بالتضحية.

نقلت هذه الاعتقادات الاجتماعية الأيديولوجية لأخلاقيات الصراع عبر القنوات الإعلامية والمؤسسات الاجتماعية. وعبر السنين اجتاح المجتمع اليهودي في إسرائيل تغيير جوهري، لكن يبدو أن كثير من الاعتقادات الاجتماعية التي كانت أساس أخلاقيات الصراع ظلت فاعلة ومهيمنة. تنعكس هذه المنظومة الأيديولوجية بصورة أساسية في الرأي الراسخ جيدًا لدى أغلب الإسرائيليين اليهود، بأنه مطلوب منهم التنازل عن أراضيهم وعن مواردهم من أجل تسوية الصراع. ومعنى ذلك أن الكثيرين، ومنهم حتى أولئك الذين يفضلون تسوية الخلاف الإسرائيلي الفلسطيني بالطرق السلمية، يشعرون أن الضفة الغربية تخص اليهود فقط وبالتالي فإن الجانب اليهودي

الإسرائيلي هو الوحيد المطلوب منه تقديم تنازلات واقعية من أجل السلام. ويوضح هذا الرأي جيدًا الصعوبة وانعدام الرغبة ورفض الانسحاب من المناطق المحتلة، وتقسيم القدس وإخلاء المستوطنات. الأمة لا تتنازل عن الأرض بمحض إرادتها، خاصة حينما يكون هناك شك كبير في أن هذه التنازلات ستؤدي بالفعل إلى سلام ثابت. والاستعداد المتزايد لدى اليهود في إسرائيل للانسحاب على الأقل من جزء من المناطق، هو في الأساس نتيجة لإدراك أن الاحتفاظ بالمناطق يمكن أن يحقق ثمنًا باهظًا من الأمة اليهودية ومن دولة إسرائيل في المستقبل، خاصة لكونها دولة يهودية.

يصاحب الاعتقادات الأيديولوجية بعيدة المدى، اعتقادات ظرفية تؤيد الصراع وتظهر في فترات مختلفة وظروف متغيرة. هذه الاعتقادات تقدم عقلانية صلبة لرفض عملية السلام. هاتين المنظومتين من الاعتقادات، توجدان مشهدًا نفسيًا متماسكًا ذا بناء متتابع وبقاعدة معرفية صلبة توقف صنع السلام. هذه المنظومة من الاعتقادات تعد منظومة صلبة نتيجة لنشاط عناصر بنائية ودافعية تعارض التغيير. إضافة إلى ذلك، هذه المنظومة مؤيدة في الغالب بوجهات نظر عامة توفر وجهة نظر محافظة عن العالم. إضافة إلى ذلك، ترتبط هذه المنظومة من الاعتقادات بالتغذية المتبادلة مع منظومة مشاعر سلبية تجاه الفلسطينيين، وهي جزء لا يتجزأ من المشهد السوسيو ـ نفسي. تدعم منظومة الاعتقادات الموصوفة مشاعر سلبية دقيقة مثل الكراهية والخوف أو الاحتقار. من ناحية توفر الاعتقادات الرواية التي تطلق هذه المشاعر. ومن ناحية أخرى، تقدم هذه المشاعر تغذية راجعة وتعزز المضامين. وأخيرًا يجب أن نذكر أن هذه الإجراءات يدعمها الشأن الذي يتهدد الصراع، الذي يتغذى أيضًا من خلال بلاغيات الزعماء المهددة، وقنوات الاتصال الإعلامي والمؤسسات الاجتماعية.

يوجد تأثير مذهل للموانع السوسيو ـ نفسية على احتمال حل الصراع. ينبع هذا التأثير في الأساس من علاقة مباشرة بين هذه الموانع وبين طريقة إعداد المعرفة في المجتمع، سواء كأفراد أو كمجموع. وتؤدي الموانع السوسيو نفسية إلى معرفة

انتقائية، منحرفة ومشوهة، تعوق كشف وقبول المعرفة البديلة التي يمكن أن تضيء وضع الصراع، ووجه الخصم، والمجموعة الداخلية أو تاريخ الصراع، بطريقة تطرح أفكارًا جديدة بشأن السلام. وبالتالي فإنه أيضًا في الحالات النادرة التي يمكن أن يطرح فيها في الأجندة مقترحات جذابة لحل الصراع أو تفسيرات بديلة لسلوك مجموعة الخارج، فإن أعضاء جماعة الداخل لا يلحظونها أو لا يستوعبونها.

وهنا يمكن أن نسأل هل يمكن أن تعمل الموانع السوسيو نفسية أيضًا في الاتجاه المعاكس. بمعنى: هل يمكنها أن تعمل أيضًا في قطاعات المجتمع التي تؤيد السلام بصورة قاطعة؟ هل يمكنها أن تقود أعضاء المعسكر الحمائمي إلى أن يكونوا «عميانا» في شأن خطير لا يتحقق فيه السلام أو يمكن أن تكون فيه محاولات دفع عجلة السلام خطيرة؟ هناك على الأقل وضعان يجب التطرق إليهما في سياق هذه الظروف.

أولا، هذا الاحتمال قائم حينما يوجد في الصراع خصم لا يعترف بأي معايير أخلاقية ويعرض حياة الإنسانية للخطر، مثل ألمانيا النازية. وبالفعل، كان هناك من سعوا إلى السلام مع النازيين، ومن المحتمل أنهم سعوا إلى ذلك بإصرار بالغ، ذلك لأن سياسة المصالحة ظهرت كخطأ بالغ كلف دماءً كثيرة وضحايا كثيرين. وفي هذه الحالة من المؤكد أنه يتناقض مع القواعد العامة وعليه أن يحاكم وفقًا للقواعد التي وضعها الطرف المظلوم. يعترف العالم الأخلاقي بالحروب العادلة (انظر على سبيل المثال Walzer, 2006 لكن هذه حالات نادرة جدًا والمجتمع الدولي تحرك في اتجاه بناء منظومة مباديء وقوانين وإجراءات، حددت بصورة واضحة ما هي الحرب العادلة. لكن، يمكن دائمًا أن يوجد حتى في هذه الحالات النادرة أشخاص يمكن أن يتمسكوا بقوة بصنع السلام.

الحالة الثانية لا تقل إشكالية. فعملية السلام هي عملية صعبة ومعقدة نهايتها الناجحة غير مضمونة وفي كثير من الحالات تنتهي بالفشل الذريع. فحالات

سريلانكا، والشرق الأوسط أو قبرص هي نماذج لذلك. وهناك باحثون في العلوم الاجتماعية يحاولون تبرير هذه الإخفاقات وتوضيح الصعوبة العامة الكامنة في تحقيق عملية سلام غير ناضجة بل ووضعوا قائمة من الشروط الحتمية لعملية سلام ناجحة. ورؤى زارتمان الناضجة هي نموذج لهذه النظرة (Zartman, 2000) .ومن هنا، يمكن أن تشير الحالات التي بدأت فيها عملية السلام وظروف تحقيقها أو نجاحها لم تنضج بعد، إلى تأييد صارم (أكثر من اللازم) للسلام. يضاف إلى ذلك، إن التمسك بأيديولوجية صنع السلام قبل نضج الظروف لذلك، يمكن أن تبدو فشلًا يكون له ثمن فادح يدفعه المجتمع الذي بدأ ذلك مبكرًا جدًا. لأن فشل العملية لن يعيد فقط الصراع إلى مرحلة العنف، وإنما سيؤدي إلى اليأس من السلام.

يسهل جدًا في رأينا التعامل ثقافيًا مع النوع الثاني من الحالات. أولا، على افتراض أن التصالح وحل الصراع بالطرق السلمية يعتبر في هذه الحالات إيجابيًا وموجه إلى الأهداف المطلوبة، فمن المهم طرح هذه الأفكار حتى إذا لم تكن الظروف معدة لذلك. الأقلية الصغيرة التي تطرح قبل الأوان ضرورة إنهاء الصراع بالطرق السلمية هي أقلية مبتكرة ورائدة تخرج في حملة طويلة لوقف سفك الدماء ضد كل الاحتمالات وتشعل الضوء في نهاية النفق. تبدأ حملتهم بقليل من المؤيدين الذين يعتبرون في نظر الباقين أبرياء تمامًا ومنفصلين وأحيانًا ضحايا وأيضًا كخونة يضرون بوجود المجتمع ويساعدون أعدائه. ولكن إصرارهم وتضحيتهم تؤدي إلى نشر أفكارهم وأحيانًا أيضًا شرعيتهم. يمكن أن توجد هذه الجماعة أيضًا اتجاهًا مماثلًا بين المعسكر الخصم. في بداية الطريق تسير هذه الجماعة ضد التيار، لكن بمرور الوقت ومع تغير الظروف يمكن أن تحظى بالتأييد وتستخدم كرأس جسر لتحالف ناجح لحل الصراع بالطرق السلمية (انظر Bar-Tal, Landman, Magal & Rosler, 2009).

وتظهر صعوبة حل الصراع في الشرق الأوسط أن صنع السلام هو عملية صعبة تعيقها بصورة مستمرة جماعات مختلفة لها مصلحة واضحة في استمرار الصراع.

حتى إذا تجاهلنا المصالح الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي تلعب أيضًا دورًا في الإبقاء على الصراع، يمكننا الإشارة إلى الاستثمار السيكو أيديولوجي الذي يؤدي إلى الحفاظ على الصراع. فحينما يطلع الناس على أفكار في سن صغيرة جدًا بصورة منهجية، شاملة ومتسقة بخصوص الأسباب التي تستوجب دراسة الأهداف القومية وتجاهل أهداف الطرف الثاني، يصعب جدًا دفعهم إلى تغيير نظرتهم. وفي هذا الوضع لا يكون من الطبيعي أن نثق في الطرف الثاني، ورؤية وجهه الإنساني وتجنب كراهيته. في هذه الحالة يميل الفرد إلى رؤية مجموعة انتمائه بمفاهيم مضخمة وكضحية فرد وأبدي للصراع، بل وحتى يتجاهل وينكر ويستبعد معاناة الخصم، مع التركيز على المعاناة الذاتية.

هذه الأيديولوجية تدعمها قنوات إعلامية مختلفة ومؤسسات اجتماعية تبذل هي أيضًا جهودًا تثقيفية لكي تقبل في المجتمع كجهات لها مصداقيتها. وهم يعلمون أن كل من يقدم رأيا بديلا، سواء من الداخل أو من الخارج، له نوايا سلبية، وليس له مصداقية ويضر بأهداف الجماعة. وبهذا يمكن أن يؤدي اتخاذ القرارات فقط من قبل الأقلية، والتدخل الفعال والأفكار الجديدة، إلى ميول إنسانية لدراسة البنى المعروفة للفكر والعمل، والتغلب على التهديد الداخلي والخطر، لبناء عالم أفضل يكون بريئًا من العفن والمعاناة والدمار.

في نهاية هذا الفصل طرح سؤال المليون دولار وهو: كيف يمكن التغلب على الموانع السوسيو نفسية من أجل تحريك المجتمعات الغارقة في صراع منفلت والانطلاق نحو عصر صنع السلام؟ تفسير الموانع السوسيو نفسية أسهل بكثير من الإجابة على هذا السؤال بحلول عملية. وعلى الرغم من ذلك سنحاول اقتراح إجابة قصيرة يمكن أن تعد أساسًا للأفكار وبحث أكثر شمولًا. نحن نؤمن بأن الغالبية العظمى من الأفراد في المجتمع لن يجتازوا عملية إقناع وتغيير تحركها ادعاءات قائمة على تقاليد عالمية، العدل والمساواة والحرية أو العاطفة الإثنية. في الصراعات

المنفلته ينغلق أغلب الأفراد في المجتمع داخل صندوق المعاناة، والحماية الذاتية والانتقام الشخصي. وهم يغوصون عميقًا في اعتقادات أيديولوجية تؤيد الصراع وتعززها مشاعر سلبية.

ونحن نرى أن عملية إذابة الجليد والتثبيت تبدأ من ظهور فكرة جديدة (أو أفكار جديدة) لا تتساوى مع الاعتقادات والأفكار المسيطرة وتخلق نوعًا من التوتر، أو المعضلة أو حتى صراعًا داخليًا، يمكن أن يدفع الناس إلى التحرك عن مواقفهم الأساسية والسعي وراء أفكار بديلة على سبيل المثال:

(Abelson, Aronson, McGuire, Newcomb Rosenberg, & Tannenbaum, 1968; Bartunek, 1993; Festinger, 1957 Kruglanski, 1989).

يجب أن تتناقض الفكرة الجديدة التي نسميها «اعتقاد محفز» (Instigating Belief) مع الاعتقادات المتجذرة، التي تتطلب استمرار الصراع . وفي هذا السياق نقترح أن يكون الاعتقاد المحفز الذي يمكن أن يشعل الدافعية للتسوية، والانفتاح والمرونة، قائمًا على الاعتراف بعدم التناسق بين المستقبل المرغوب والمستقبل الذي يظهر الوضع كما هو.

دافعية إعادة تقييم الاعتقاد المتبنى ودراسة أفكار بديلة، قائمة على إدراك أن استمرار الوضع الحالي (للصراع) لن يؤدي إلى مستقبل أفضل أو مرغوب، وإنما يمكن أن يضر أو حتى يضر بأهداف أساسية أو باحتياجات أساسية للمجتمع (Bartunek, 1993). الاعتقاد المحفز يشجع المجتمع على إعادة تقييم الاعتقادات الشائعة ويؤدي إلى إذابتها من خلال تبني محتمل لاعتقادات بديلة. يمكن أن يظهر هذا الاعتقاد المحفز بصورة عفوية في عقول الأشخاص دون أن تتوفر ظروف خاصة لذلك، لكن في الغالب تثار نتيجة لظروف خارجية تجبر على إعادة تقييم المشهد الشائع الداعم للصراع. (انظر التحليل الكامل لهذا المفهوم عند (Bar-Tal & Halperin, 2009b).

وبصورة دقيقة، تقارن احتمالات الانفتاح على المعلومة البديلة الداعمة لعملية السلام، بما فيها معرفة أن كلفة استمرار الصراع تزيد عن كلفة التسوية المطلوبة لصنع السلام. إضافة إلى ذلك، من المعروف أن تقدير التكلفة والخسائر يحظى بتقدير بالغ يفوق تقدير الأرباح المحتملة التي يمكن أن يتحصل عليها من صنع السلام (Kahneman & Tversky, 1979) يمكن أن يطبق هذا المبدأ بسهولة في حالة المجتمع الإسرائيلي اليهودي الذي يقبل مبدأ حل الدولتين، وبخاصة في ظل «التهديد الديموغرافي». معدل الزيادة السكانية المرتفع جدًا بين المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل وفي السلطة الفلسطينية سوف يؤثر قريبًا على توازن العلاقات بين الطوائف الإثنو دينية الكبيرة في المنطقة ومن المتوقع أن يؤدي إلى وجود أغلبية فلسطينية في العقود القادمة (Gayer, Landman, Halperin & Bar-Tal, 2009; Soffer 2008) يقود هذا الفهم إلى إذابة ومقارنة الاعتقادات البديلة الداعمة للتسويات الملموسة بين صقور أيديولوجيين معروفين مثل رئيس وزراء إسرائيل السابق إيهود أولمرت، ووزيرة الخارجية السابقة تسفي ليفني.

ليس هناك شك في وجود ادعاءات أخرى، مثل الطرق والإجراءات التي يمكن أن تؤدي في ظروف معينة إلى تسوية تؤدي بعد ذلك إلى قبول اعتقادات تؤيد صنع السلام بل وحتى المصالحة. وعلى أية حال، كما ذكر أعلاه، فإن اتجاهًا كهذا ينبض دائمًا تقريبًا بين الأقلية وينتشر أحيانًا بنجاح داخل المجتمع، إلى أن تصبح أخلاقيات السلام هي الأخلاقيات المهيمنة بين الجماهير. وعلينا أن نذكر دائمًا أن البشر هم الذين يقررون البدء في الصراعات الصعبة، والبشر هم الذين يبدأون في إنهائها.